في التنوير الإسلامي

٢

الغرب والإسلام

تأليف

د. محمد عمارة



فى التنويــــر الاســـلامى



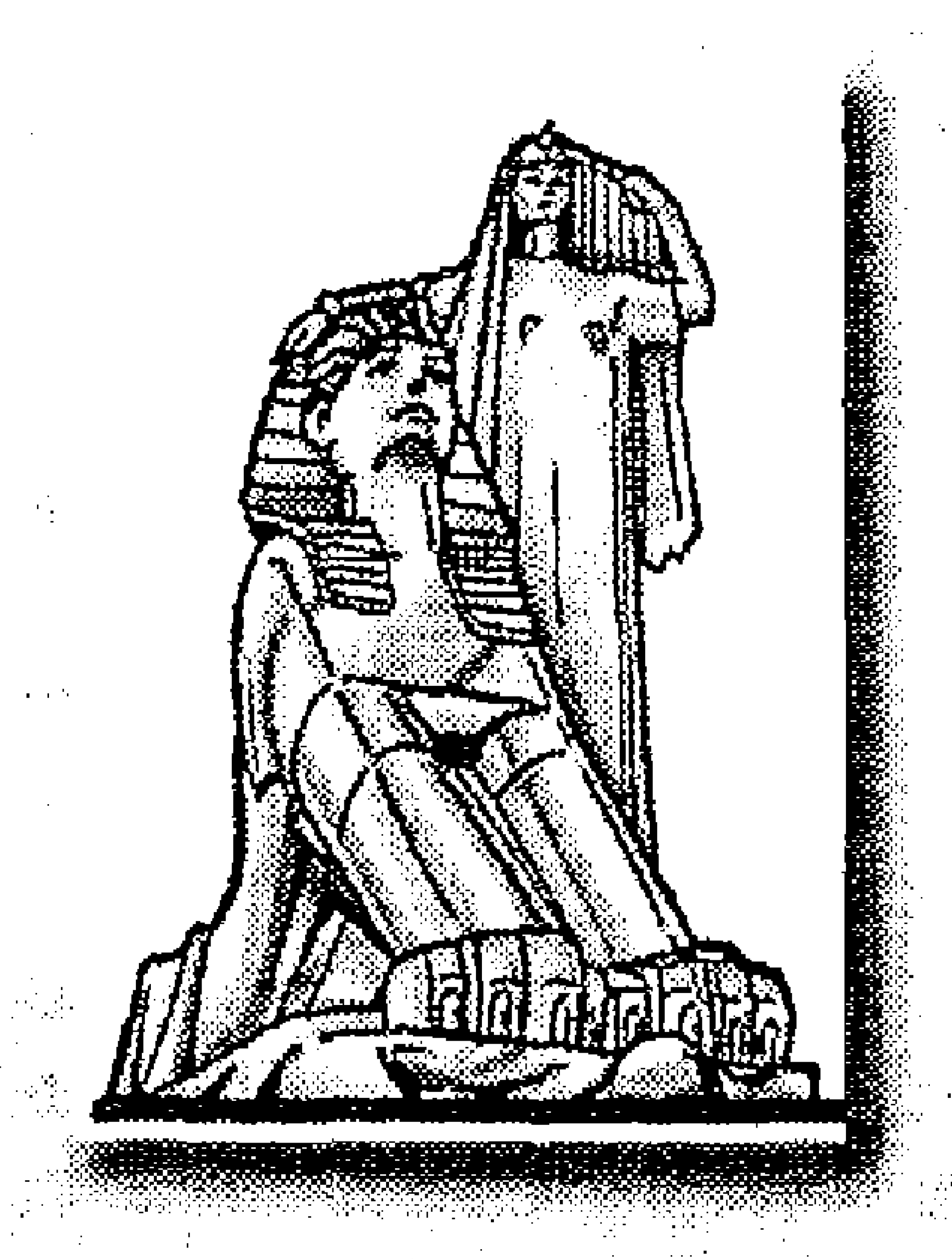


الغرب والإسلام

تأليف

د. محمد عمارة





اسم السلسلة :في التنوير الاسلامى

اســم الكتاب :الغرب والإسلام

تــأليــــــف : دكتور / محمد عمارة

تاريخ النشــر : مارس ١٩٩٧

رقم الإيــداع : ١٤٢٠٦ / ٩٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-14 -0548-9

الناشــــــر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

المركــز الرئيســى : ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١

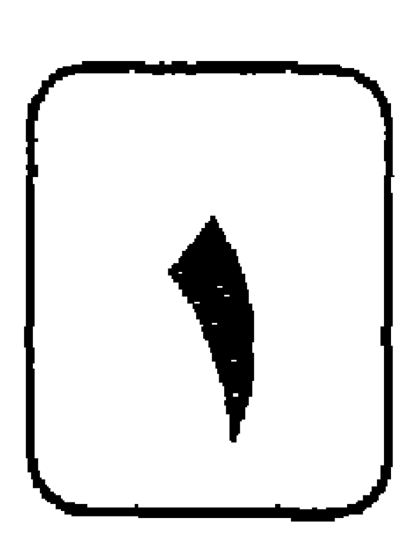
فاكس : ٠١١/٣٣٠٢٩٦

مركــز التــوزيـــع : ١٨ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ - فاكس ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥

إدارة النشــــــر : ٢١ ش أحمد عرابى (برج النهضة) المهندسين - القاهرة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ فاكس : ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦



لمحة عن تاريخ الصراع الغربى ضد الإسلام

لانبالغ إذا قلنا إن تاريخ الإسلام قد كان سلسلة من التحديات . . والتحديات التى جاءته من أوربا والغرب على وجه التحديد ! . .

- فقبل عشرة قرون من ظهور الإسلام . . وفى القرن الرابع قبل الميلاد ، نجح الغرب الإغريقى فى فرض سيطرته على الشرق منذ الغزوة التى انتصر فيها الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق .م) على الفرس ، فى موقعة «إيسّوس» سنة ٣٣٣ ق .م .

ولقد امتدت سيطرة الإغريق والبطالسة والبيزنطيين على أقطار الشرق ، حتى ظهر الإسلام ، فى القرن السابع الميلادى . . فقاد المسلمون ، عبر نحو قرن من الزمان ، فتوحات التحرير التى أزاحت هذه الموجة الغربية عن كاهل هذه الأقطار وشعوبها . .

- لكن القسطنطينية - عاصمة الدولة البيزنطية - استمرت - منذ هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) وحتى فتحها على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح (٨٥٧هـ ١٤٥٣م) - تجيش الجيوش ضد الحدود والأطراف والولايات الإسلامية . . وتغذى دسائس الخيانة فى أوساط الأقليات ! . .
- ولم يكن إسهام الغرب الأوربى ، فى سلسلة هذه التحديات ،

بأقل من إسهام الإمبراطورية البيزنطية الشرقية . . فلقد قادت البابوية - من جنوبى فرنسا - أمراء الإقطاع الأوربى فى سلسلة الحملات الصليبية ، التى مولتها المدن التجارية الأوربية ، والتى شاركت فيها كل الشعوب الأوربية . . فأقاموا الدول والإمارات الاستيطانية فى قلب العالم الإسلامى - وخاصة فلسطين الشام - على امتداد قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م) . .

ولم يتورع الغرب النصرانى ، إبان تلك الحروب الصليبية ، عن التحالف مع التتر الوثنيين ضد الإسلام وأمته وعالمه ، فجاءت حملات الدمار التترية لتجتاح العراق والشام وفلسطين ، يقود جيوشها النصارى النساطرة ، بتخطيط وتنسيق مع الكاثوليكية الغربية . . ولم يوقف دمارهم ، الذى هدد الوجود الإسلامى ، إلا الانتصار الذى أحرزه المسلمون فى «عين جالوت» (٦٥٨ هـ ١٢٦٠م) بقيادة المماليك المصريين . .

● فلما طوت انتصارات الفروسية الإسلامية صفحات قرنى الحروب الصليبية . . وجذب الإسلام التتار إلى التدين به . . زاد سعار الغرب ، وتصاعد عداؤه للإسلام وأمته وعالمه . . وخاصة بعد فتح القسطنطينية . . ودخول الإسلام إلى أرض البلقان ، فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى . . فبدأ الغرب ، فى مسلسل هذه التحديات «غزوة القرون الخمسة» ، تلك التى استهدف منها الالتفاف حول عالم الإسلام - بعد اقتحام الإسلام لقلب أوربا - تمهيدا لضرب قلبه - العالم العربى - من جديد ! . .

ولقد كانت بداية هذه الحلقة ، فى سلسلة التحديات الغربية للإسلام ، هى نجاح الغرب الأوربى فى اقتلاع الإسلام من

الأندلس ، بإسقاط غرناطة فى يناير ١٤٩٢م - ٨٩٧ هـ - وهو الحدث الذى احتفل به الغرب منذ أعوام ، عندما أقاموا الدورة الأولمبية فى «برشلونة» - بإسبانيا - احتفالا بمرور خمسمائة عام على هذا الحدث ، الذى بدأت به غزوة الخمسمائة عام . . والمستمرة حتى هذه الأيام ؟! . .

وفى ذات الوقت الذى كانوا يحتفلون فيه - فى برشلونة - بإسقاط غرناطة ، واقتلاع الإسلام من الأندلس . . وبدء هذه الغزوة الصليبية الممتدة . . كان الصرب - فى البوسنة والهرسك - يعلنون ، بلسان وزير الإعلام الصربى : «أنهم طلائع الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين» ؟! . .

* * *

● **لقد بدأت الصليبية الغربية، منذ اللحظة التى سقطت فيها «غرناطة»، مشروعها الاستعمارى الكبير، الذى بدأ «بتطويق» عالم الإسلام؛ تمهيدا لغزو «قلبه»، وذلك حتى يتحقق: «نهب الثروة»، و«احتلال الأرض»، و«تغريب العقل»، وكسر شوكة الإسلام !..**

وفى إطار حلقات هذا المشروع . . وعلى جبهاته توالت الوقائع والأحداث والمعارك البارزة ، فى صراع الغرب ضد الإسلام وأمته وعالمه ، عبر هذه القرون الخمسة . . وهى الوقائع والأحداث والمعارك ، التى يكشف علاقاتها ويفسر مغزاها «الوعى» بهذا التاريخ ! . .

● فتحقيقا لمخطط «تطويق» العالم الإسلامى ، جهز الإسبان - بعد شهر من سقوط «غرناطة» - أسطول «كريستوف كولومبس» (١٤٥١ - ١٥٠٦م) للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية ، دورانا حول إفريقيا ، لاكتشاف طريق «تطويق» عالم الإسلام . . فلما ضل «كولومبس» الطريق ، وذهب إلى أمريكا . . نهض

البرتغاليون بذات المهمة بعد خمس سنوات . . فوصل «فاسكودى جاما» (١٤٦٩ - ١٥٢٤م) إلى «رأس الرجاء الصالح» ، مكتشفا طريق الالتفاف الأوربى حول عالم الإسلام (٩٠٣هـ ١٤٩٧م) . . وليواصل رحلة الالتفاف والتطويق إلى المحيط الهندى ؟! . . وبعد سنوات قليلة - فى (٩١٠هـ ١٥٠٤م) - حقق البرتغاليون أول انتصاراتهم - فوق الساحل الهندى - ضد جيش المماليك ، الذى خرج من مصر ، لمجابهة هذا «التطويق» ؟! . .

وما هى إلا سنوات ، حتى كان البرتغاليون ، بقيادة «ماجلان» (١٤٨٠ - ١٥٢١م) - الذى تمجده كتبنا المدرسية «كمكتشف جغرافى» ؟!- يقتل وهو يحارب المسلمين فى الفلبين . . فيبدأ بذلك عصر الاستعمار «الغربى - الصليبى» للفلبين . . التى تحولت إلى النصرانية بعد الإسلام . . وأصبح اسم عاصمتها «مانيلا» بعد أن كانت تُنْطَق : «أمان الله» ؟! . .

- وبعد مرحلة «التطويق» لعالم الإسلام . . بدأت مرحلة «الغزو» لقلبه . . فى وطن العروبة على وجه التحديد! . . فحملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) . . تلتها - بعد فشلها - الحملة الإنجليزية - التى قادها «فريزر» - على «رشيد» (١٢٢٢هـ ١٨٠٧م) . . وبعد فشلها . . نجح الفرنسيون فى غزو الجزائر (١٢٤٦هـ ١٨٣٠م) بادئين بذلك أبرز النجاحات . . وكان الإنجليز قد هيمنوا على الخليج العربى - انطلاقا من الهند - بمعاهدة (١٢٣٥هـ ١٨٢٠م) . .

ثم احتلوا «عدن» (١٢٥٤هـ ١٨٣٨م) . . ثم جاء احتلال الفرنسيين «لتونس» (١٢٩٨هـ ١٨٨١م) . . واحتلال الإنجليز

«لمصـر» (١٢٩٩هـ ١٨٨٢م) . . والإيطاليين لليـبـيـا (١٣٢٩هـ ١٩١١م) . . وفرنسا «للمغرب» (١٣٣٠هـ ١٩١٢م) . . ثم كان عموم البلوى ، أثناء الحرب الاستعمارية العالمية الأولى ، عندما وزع الغرب بقايا العالم العربى بين قواه الاستعمارية ، بمعاهدة «سيكس - بيكو» (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) . . وهى التى تلاها فلسطين للحركة الصهيونية ، بمقتضى «وعد بلفور» ١٩١٧م) . . ليأتى إلغاء «رمز» الوحدة الإسلامية «وعائها» ، بإسقاط الخلافة الإسلامية (١٣٤٢هـ ٢٤. صفحتها من الوجود للمرة الأولى فى تاريخ الإسلام ! . .

● وعندما حقق الغرب هذا الانتصار - تطويق العالم الإسلامى وغزو قلبه . . واحتلال أوطانه - لم يخف قادته أن ذلك جميعه قد تم - ومنذ سقوط «غرناطة» - فى إطار حملة صليبية شنها الغرب على ديار الإسلام . . وواصل معاركها طوال هذه القرون . . فالجنرال الفرنسى «جورو» (١٨٦٧ - ١٩٤٦م)- بعد احتلاله لدمشق - يقتحم قبر صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) ويركله بقدمه ، ويقول : «ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين» ؟؟!! . .

والجنرال الإنجليزى «اللنبى» (١٨٦١ - ١٩٣٦م) - عندما يحتل القدس - يقول : «الآن ، انتهت الحروب الصليبية» ؟؟!! . .

● لكنهم - أمام يقظة الأمة الإسلامية - وتصاعد صحوة المسلمين - التى تريد تحرير الوطن والعقل والثروة ، والتعايش مع كل الحضارات والشرائع والديانات ، من موقع «الراشد - المستقل» . . يعودون ، مرة أخرى ، إلى إعلان الحرب على

الإسلام . . فمن قائل : إنه «الخطر الأخضر» ، الذى حل محل «الخطر الأحمر» ؟! . . ومن قائل : إنه «العدو الجديد» . . ومن قائل : إن حضارته هى المرشحة لتكون الهدف الغربى الأول فى الصراعات الجديدة . . صراعات الحضارات ! . .

أما الصرب - ومن ورائهم الغرب - كنظم ومؤسسات - فلقد مثلوا ، بإبادتهم لمسلمى البوسنة ، «صراحة الغرب العارية» فى هذا الصراع - صراع «الغرب - الصليبى» ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . عندما قالوا - وهم يسعون إلى اقتلاع الإسلام من قلب أوربا ، فى الذكرى الخمسمائة لاقتلاعه من غربها : «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة» ضد الإسلام والمسلمين ؟! . .

تلك هى دروس التاريخ . . وهذا هو «الوعى» بوقائع التاريخ !

* * *

والآن . . . . . وأمام هذا المستوى البشع لدموية المأساة . . وأمام حدة المخاطر التى كشف ويكشف عنها «الوعى» بوقائع تاريخ هذا الصراع ، وحلقاته الممتدة والمستمرة على امتداد عمر الإسلام . . فإن هناك مخاطر تهدد نظرة العقل المسلم إلى هذا الصراع وموقفه من قواه وأطرافه وتكتلاته . .

● فخطر كبير - على العقل المسلم - أن يبادل الغرب عداء بعداء . . ورفضا برفض . . . وإلغاء بإلغاء ! . .

إننا يجب أن نصحح «معادلة» العلاقة بيننا وبين الغرب . . فليست القضية هى «موقفنا من الغرب» وإنما القضية هى «موقف الغرب منا» ! . .

وليس للإسلام وأمته وعالمه وحضارته مشكلة مع «الإنسان» الغربى . . ولا مع «العلم» الغربى . . بل ولا مع «الحضارة»

الغربية . . فنحن أبناء الدين الذى يجعل التعددية فى القبائل والشعوب . . وفى الألسنة واللغات - ومن ثم فى القوميات - . . وفى الشرائع - ومن ثم فى الحضارات - . . نحن أبناء الدين الذى يجعل التعددية فى هذه الميادين سنة من سنن الله ، سبحانه وتعالى ، فى الاجتماع البشرى ، ليس لها تحويل ولا تبديل . . فغايتنا هى «التعايش» و «التفاعل» فى ظل عالم تجعله التعددية «منتدى حضارات» ، تتفاعل فيما هو «نافع . . وملائم» . . وتتمايز فيما هو من صميم «خصوصية» كل حضارة من الحضارات . .

فمشكلتنا ليست مع «الإنسان» الغربى.. ولا مع «العلم» الغربى.. ولا مع «الحضارة» الغربية.. وإنما هى مع «المشروع» الغربى، عندما يريد إلغاء «مشروعنا» الحضارى، المتميز والخاص !..

هكذا . . وعلى هذا النحو يجب أن يكون وعى العقل المسلم لهذه المجابهة وهذا الصراع . . رغم دموية المأساة ، وبشاعة الدروس المستخلصة من الوعى بوقائع هذا الصراع ! . .

- وخطر كبير أن لا يرتب العقل المسلم «بيته» ، وهو يخوض معارك هذا الصراع ! . .

إن تيارات فكرية عديدة ، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام . . تستنزف طاقاتها فى صراعات عقيمة حول أحداث طوى التاريخ صفحاتها منذ قرون ؟! . . وتيارات فكرية عديدة عميت عن التمييز بين «العدو» و «المحايد» و «القريب» و «الصديق» . . وعجزت عن التفرقة ، فى «التناقضات» ، بين «الرئيسى» و «الثانوى» . . بين «العدائى» و «غير العدائى» . . ومن ثم عميت عن اختيار الأسلوب الأنسب والطريق الأمثل والأدوات الملائمة لمعالجة كل تناقض من هذه التناقضات . .

ولقد أدى هذا «العمى الفكرى» ، الذى «غيب الوعى الصحيح» ، إلى استشراء النزيف الداخلى لقوى أطراف عديدة ليس بينها عداء حقيقى ولا خلاف كبير . . فأصبح «البأس الشديد» فيما بيننا . . الأمر الذى جعلنا - حتى دون أن نريد - «رحماء» على الأعداء الحقيقيين ؟! . . فكأننا لم نقرأ ، فى القرآن الكريم ، وصف الله ، سبحانه وتعالى ، للأمة التى ننتسب إليها ، عندما يقول : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩]

فما لم يرتب العقل المسلم «بيته».. بتحديد وتصحيح موقف «الذات» من «فرقائها»..وتحديد وتصحيح موقف «الذات» من «الآخر».. فسيظل النزيف قائما، يحرم «الذات» من مدد داخلى.. ومن أنصار خارجيين!..

إن الله ، سبحانه وتعالى ، لا ينصر إلا الذين ينصرونه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد : ٧]

أما الذين لا يتناصرون ، بترتيب «البيت» ، واستجماع «قوى الذات» ، فليس من حقهم توقع وانتظار النصر من الآخرين ! . .

إن أمتنا فى موقف صعب . . وليس فى ذلك جديد ولا غريب على تاريخها ، الذى يمثل سلسلة متصلة الحلقات من المخاطر والتحديات . . **لكن الخطر الحقيقى الراهن كامن فى العجز «الفكرى.. والعملى» عن أن يرتب العقل المسلم بيته، ويحسب قدراته وإمكاناته، ويرتب الأولويات.. ويزيد من مخاطر هذا القصور، حالة «الغضب» التى تشيعها دموية المأساة.. ذلك أن «الغضب»، حتى ولو كان بالحق**

وللحق، فإنه يُعْجِز «العقل» عن إبداع «الحكمة.. والصواب».. فهو فرع وجزء من «الجنون» ؟!..

تلك هى المأساة . . وهذه بعض من ثمرات الوعى بالتاريخ . . ورؤية مأساتنا المعاصرة فى سياق وقائع هذا التاريخ ! . .

* * *

وإذا كان الوعى بالتاريخ ضروريا لاكتساب خبرات الذين عاشوا ذلك التاريخ . . فإننا نستعين به - فى هذه الصفحات - على الوعى بالواقع المعاصر لحقيقة هذا الصراع . . الذى يخوضه الغرب المعاصر ضد المسلمين وعالمهم . . وضد الإسلام . . وذلك حتى لا يقف الوعى بالعقل المسلم عند الماضى والتاريخ . . فما الماضى والتاريخ إلا آلية من آليات الوعى بالحاضر، استشرافا لصنع المستقبل المنشود . .



الغرب المعاصر والإسلام

الموقف من الحضارة الغربية ، واحد من الموضوعات التى يدور حولها الجدل فى دوائر الفكر والثقافة والسياسة ، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام ، بل وفى كل أمم وحضارات وقارات جنوب الكوكب الذى نعيش فيه ! . .

بل لقد غدا هذا الجدل ، حول الموقف من الغرب الحضارى ، واحدا من أبرز أسباب الانقسامات الحادة فى العقل العربى والمسلم . . تتشرذم بسببه طاقات كثير من المفكرين والساسة والمثقفين . .

وإذا كانت نهضتنا - التى هى طوق نجاتنا من «الانقراض الحضارى !» - مستحيلة دون استدعاء وتوحيد أغلب طاقات الأمة ، وخاصة الفكرية والثقافية والسياسية - نظرا لكثرة وشراسة التحديات - فإن حسم الخلاف حول هذه القضية : - الموقف من الحضارة الغربية - يتجاوز فضيلة - بل وفريضة - الحوار والحسم لقضية من القضايا المثيرة للنزاع ، إلى حيث يصبح واحدًا من شروط تمكين الأمة من أن تمضى على طريق النهضة وهى مستجمعة لطاقاتها الحقيقية ، ومتمتعة بعافيتها الطبيعية . . وذلك بدلا من وضعها الراهن . . وضع الذين هم رحماء على الآخرين ، أشداء على أنفسهم ، وبأسهم بينهم شديد ؟! . .

وفى اعتقادنا أن الطريقة المثلى لاستدعاء العقل العربى والمسلم إلى كلمة سواء فى هذه القضية ، هى رهن بالمنهج الذى يتناولها عبر تحقيقه لشرطين أساسيين :

أولهما: تصحيح مسار الحوار والجدل حول القضية . . فبدلا من أن يكون الموضوع : ماهو موقفنا من الغرب؟ . . فلنجعله : ماهو موقف الغرب منا ؟؟ . .
فلعل جميع الفرقاء ، باكتشافهم موقف الغرب منهم جميعا ، أن يصلوا إلى أرض مشتركة ، ومرفأ واحد ، وكلمة سواء ! . .

وثانيهما: أن نستدعى نصوص الغربيين أنفسهم ، لا من دائرة واحدة من دوائر حضارتهم ، وإنما من مختلف دوائرها ، حول موقفهم هم منا . . فلعل شهادتهم هم أن تنير لعقلنا العربى والمسلم سبيل الحكم العادل فى هذا الموضوع! . .

* * *

ولحسن حظ «الفكر» - وهو من سوء حظ «الواقع» ؟!- أن المتغيرات التى أسقطت الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها . . والتى أعادت ترتيب «البيت الغربى» ، قد أبرزت تعاظم الهيمنة الغربية على الأمم والحضارات الأخرى ، وخاصة المستضعفة منها ، وبوجه أخص على وطن العروبة وعالم الإسلام . . حتى لقد برزت وشاعت الكتابات الغربية التى تتحدث عن أن العدو - الحالى والمستقبل - للغرب - والذى يمثل «إمبراطورية الشر» - بعد زوال المعسكر الشيوعى - هو الإسلام وأمته وحضارته وعالمه ؟! . . الأمر الذى فتح الباب ، أمام تيارات الفكر فى بلادنا ، لتلمس حقيقة موقف الغرب منا ، على نحو من الوضوح لم يسبق له مثيل . .

وإذا كـان انفـراد الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة - ولو مـؤقـتـا - بالهيمنة - واغتصابها - تقريبا - «للشرعية الدولية» ، قد اقترن بتوظيف هذه الهيمنة ، وهذا الاغتصاب للشرعية الدولية فى وطن العروبة وعالم الإسلام - فإن نصوص مفكرى الغرب وساسته تنفى عامل «الصدفة» عن هذا التوظيف فى المحيط الإسلامى بالذات ، دون غيره من المجالات ! . .

إن حال الهيمنة الأمريكية ، وقوتها المتغطرسة اليوم ، مع الاستضعاف العربى والإسلامى الراهن ، تكاد أن تجعل القلم يستدعى صورا من عصر المماليك ؟! . .

فـ «السلطان - الأمريكى» لايريد منافسا ولا شريكا ولا بديلا . . وهو يريد من النظم «الحاكمة» فى وطن العروبة وعالم الإسلام أن تقنع بدور ، وتقف عند حدود «الحريم»؟! . . وهو يسعى مع تيارات الفكر والسياسة ، التى سقطت مشروعاتها النهضوية - مثل الماركسيين - أو التى تخاف من المشروع الإسلامى للنهضة - مثل قطاع من العلمانيين والليبراليين - . . يسعى «السلطان - الأمريكى» مع هذه التيارات إلى القبول بدور «الطواشى . . والخصيان» فى «حَرَمْلك» بعض النظم فى وطن العروبة وعالم الإسلام ؟! . .

إنه ينزع سلاحنا القتالى . . فى الوقت الذى يعيد فيه عصر القواعد العسكرية الأجنبية على أرضنا من جديد . . وإذا أعطانا سلاحا . . فهو يحرص على تفوق قاعدته ، إسرائيل ، على أوطاننا جمعاء؟! . . ثم هو لا يسمح لنا باستخدام هذا السلاح إلا فى صراعات داخلية ، يدبرها . . ويدفع إليها . . ويؤجج نيرانها ! . .

وهو ينهب ثرواتنا بالثمن البخس . . ويعوق تنميتنا المستقلة . . ويحولنا إلى سوق لاستهلاك سلعه المصنعة - التى إذا قارنا

أسعارها الفاحشة بأسعار موادنا الخام المتدنية ، ثبت لنا - بالأرقام - أنه يكاد أن يأخذ موادنا الخام بالمجان ؟! . . ثم هو يأخذ فوائضنا النقدية رهينة فى مصارفه ، يدعم بها اقتصاده ، ويحكم بها حبال التبعية المالية على أعناقنا ؟! . .

ثم ها هو قد نجح ، فى الربع قرن الأخير ، أن يضرب «إرادة التحرر الوطنى» فى مقتل ، عندما أغرانا بالاستدانة ، حتى أدخلنا فى آليات جديدة من التبعية الاقتصادية رهنت إرادتنا واستقلالية قرارنا ، بل وكرامتنا كأمة . . الأمر الذى أتاح له - بعد المتغيرات التى رتب بها بيت الحضارة الغربية - أن يطمح إلى دور «السلطان - المملوكى» ، وأن يطلب إلى بعض «حكامنا» الرضا بمكانة «الحريم» فى «ديوان» «السلطان» ؟! . .

إنها صورة الواقع المعيش . . وما للعصر المملوكى فيها غير اللغة والمفردات والرموز ! . .

لكننا ، وفاء بالمنهج الذى اخترناه لمعاجلة قضية «الموقف من الغرب» ، لن نكتفى بالاحتكام إلى هذا «الواقع» الذى يأخذ منا بالخناق ! . . وإنما سنستدعى «نصوص» مفكرى الغرب وساسته لتشهد على أن هذا «الواقع . . البائس . . المذل» ، الذى فرضه ويفرضه الغرب علينا - مباشرة . . أو بواسطة المستبدين الذين يصنعهم أو يحرسهم - إنما هو المقدمة لنتيجة يريد الغرب بها تأبيد تبعية عالم الإسلام لمركزه . . بل وماهو أكثر من «التبعية» . . إنه يريد «إلغاء» وجودنا المتميز ؟! . . ولذلك تشهد نصوص ساسته ومفكريه على أن المراد والمطلوب هو تجريدنا ، لا من «السلاح الحربى» فقط . . و «الاستقلال الاقتصادى» وحده . . و «الإرادة السياسية» فحسب . . وإنما المطلوب ، من وراء هذا الطور من أطوار

ذلك الصراع «الحضارى - التاريخى» ، هو تجريدنا من «الإسلام» ، باعتباره «الهوية» المميزة لأمتنا ، و«الشوكة» التى جعلت أمتنا تستعصى على الإلحاق والذوبان! . . فأهل الفكر والسياسة يريدون «كسر شوكة الإسلام» بالعلمانية ، وذلك عبر «صراعات كثيرة وطويلة ومؤلمة» - حسب تعبيرهم - على النحو الذى صنعوه مع مسيحيتهم ، التى تحولت من «دين» إلى مجرد «تراث» ؟! . .

أما قساوسة التنصير فإنهم يطمعون فى اقتلاع الإسلام من الجذور وإلغائه من الوجود ؟! . .

ولما كانت هذه الصفحات ستنتهى بعرض نصوص قساوسة التنصير الشاهدة على مخطط هذه الحرب التى يشنونها على الإسلام وأمته وحضارته . . فإن هذا التمهيد سيكشف للقارئ طرفا من نصوص مفكرى الغرب وساسته ، التى تقول لنا : إنها حرب واحدة يشنها الغرب علينا ، مع تعدد فى المواقع والجبهات ، وتنوع فى الوسائل والأدوات ، وتفاوت وتدرج فى المقاصد والغايات . . لكنها تفضى - إذا نجحت - لا قدر الله - إلى «كسر شوكة الإسلام» تمهيدا لاقتلاعه من الجذور ! . .

* * *

وإذا كان المقام - وهو مقام «التمهيد» بين يدى هذه الدراسة - يفرض انتقاء النصوص الغربية واختيار الشهادات الدالة . . فحتى لا يزعم زاعم بأننا نتعمد تلوين الصورة بواسطة التحكم فى هذا الانتقاء والاختيار . . فلقد عمدنا إلى اختيار النصوص الغربية التى تمثل شهادات لا لبس فيها ، صادرة من أناس هم فى القمة من تخصصاتهم ، ومعبرين عن دوائر واسعة ومؤثرة فى الفكر الغربى وفى صنع القرار السياسى الغربى . .

● فمن مجلة «شئون دولية» International Affairs - التى يصدرها المعهد الملكى للشئون الدولية - بجامعة «كامبردج» - البريطانية - وهى من أكثر المنابر الفكرية المتخصصة فى الشئون والعلاقات الدولية احتراما - . . اخترنا الاستشهاد بدراستين . . أولاهما عن «الإسلام والمسيحية» Christianity and jslam كتبها عالم بارز هو «إدوارد مورتيمر» Edward mortimer . . وثانيتهما عن «الإسلام والماركسية» Islam and marxism كتبها عالم الانثروبولوجيا «ارنست جيلنر» Ernest Gellner [1] .

ونحن نجد فى تقديم المجلة لهذا «الملف» عن موقف الغرب من الإسلام والعالم الإسلامى . . تأكيدا على أن الأفكار الواردة فى هاتين الدراستين إنما تعبر عن «**الأفكار التى تروج الآن فى الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى**» - الأمر الذى يعطيها وزنا كبيرا وأهمية خاصة- . . كما تشير المجلة إلى علاقة هذا الموقف الغربى من الإسلام وعالمه بالمتغيرات التى أزالت الانشقاق الذى كان حادثا فى الموقف الاجتماعى والعسكرى للحضارة الغربية ، منذ الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧م . . وهى المتغيرات التى أزالت وطوت صفحة «العدو الشيوعى» ، وأبرزت الدور التوحيدى للتراث المسيحى فى النظام الغربى الدولى الجديد ، على النحو الذى وجه عداء الغرب المسيحى إلى الإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . فأمر الإسلام إذا ، فى الغرب ، ليس شأنا كنسيا وحسب . . بل إنه الشغل الشاغل - كما تقول «شئون دولية» - للمعاهد المتخصصة فى الفكر السياسى . . والفكر بوجه عام . .

---

(١) والدراستان منشورتان - كملف - مع مقدمة للمجلة - فى المجلد ٦٧ عدد ١ - يناير سنة ١٩٩١م .

فالحضارة الغربية ، التى رتبت بيتها الحضارى ، تعيد تعريف نفسها ، من زاوية مغايرتها - كصاحبة تراث مسيحى يوحدها - من زاوية مغايرتها . . بل ومن موقع عدائها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . على هذه الحقيقة تشهد «شئون دولية» فتقول :

«يحظى موضوع العلاقة بين الإسلام والمسيحية باهتمام خاص من جانب العديد من المعاهد الدولية المتخصصة في العلاقات الدولية، ويرتبط هذا الاهتمام مباشرة بالعلاقات فيما بين الدول الصناعية الغنية، والدول الفقيرة فيما يسمى «بالعالم الثالث».. كما يرتبط هذا الاهتمام ارتباطا وثيقا بالثورة التي شهدتها بلدان أوربا الشرقية في عام ١٩٨٩م، مما دفع أوربا إلى أن تعيد تعريف ذاتها...

إن أوربا التى اعتادت أن تعرف نفسها من خلال تحديد الآخر، كان لابد وأن تبحث عن آخر جديد يحل محل الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام - أو بمعنى أدق العالم الإسلامي القريب من أوربا -..

وفي هذا الملف، مقالان حول الماركسية والإسلام، والمسيحية والإسلام، يعطيان صورة حول الأفكار التي تروج الآن في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي...»

ثم تمضى المجلة فى تقديمها للموضوع . . فتتحدث عن البعد المسيحى المتنامى فى الحضارة الغربية . . والذى يزامله بعد يهودى فى هذه الحضارة . . وعن نزعة الهيمنة والواحدية لهذه الحضارة الغربية ، التى لا تقنع بأنها «مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم» . . ثم تضع يدنا على القضية موضوع النزاع والصراع الغربى ضد الإسلام وحضارته . . وهى - بعبارة المجلة - :

«... والقضية هى ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد

المجتمع العلماني، من خلال صراعات «كثيرة وطويلة ومؤلمة»؟ أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحي / الغربي الذي يميز بين ما لله وما لقيصر»؟!..

والمجلة تعترف باستعصاء الإسلام على العَلْمَنَة . . ومن ثم ترى فيه - حسب تعبيرها - : «الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدى فعلى وحقيقى لمجتمعات» الغرب ، التى تسود فيها أمراض الحضارة الغربية المعاصرة ، ، ولذلك ، فالإسلام - كما تقول مجلة «شئون دولية» - «.. من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة»؟!..

تمضى المجلة ، فتعرض شهادتها على هذه الحقائق فى موقف الغرب من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه ، فتقول :

«.. نحن فى وقت يسود فيه انطباع قوى بتضاعف الإشارات إلى المسيحية فى السياق الدولى.. والقضية هى ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلمانى، من خلال صراعات «كثيرة وطويلة ومؤلمة»؟ أم أن رسوخ الإسلام فى المجال السياسى والاجتماعى يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى / الغربى الذى يميز بين ما لله وما لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها فى ديمقراطية علمانية..

ويعكس هذا الطرح إلى أى مدى يميل الفكر الغربى إلى جعل الحضارة المسيحية - اليهودية / الغربية هى الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم.

والإسلام من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدى فعلى وحقيقى لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية

وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات ماديا، فضلا عن هلاكها المعنوى...»!

تلك هى شهادة مجلة «شئون دولية» على حقيقة عداء الغرب للإسلام وعالمه، وجعله الإسلام «من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة» .. لا لشىء «وليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدى فعلى وحقيقى» للعلمانية الغربية .. «فرسوخ الإسلام فى المجال السياسى والاجتماعى، الذى يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى/ الغربى الذى يميز بين ما لله وما لقيصر» .. هذا الرسوخ، الذى يجعل الإسلام عصيا على العَلْمَنَة، هو الذى يؤجج نيران العداء الغربى للإسلام .. ذلك أن الغرب لا يقنع بأن تكون ثقافته العلمانية «مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم» .. وإنما يريد أن تكون «حضارته المسيحية - اليهودية/ الغربية هى الحضارة المهيمنة» .. ومن هنا رأى فى الإسلام التحدى الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على هذا الكوكب الذى نعيش فيه ؟! ..

* * *

وإذا كانت هذه هى شهادة المجلة الغربية، رفيعة المستوى، - «شئون دولية» .. فما هى شهادة العلماء الذين كتبوا فيها حول موقف الغرب من الإسلام؟! ..

فى الدراسة التى كتبها «إدوارد مورتيمر» عن «المسيحية والإسلام» .. يلفت الأنظار إلى عدد من الحقائق البالغة الأهمية فى هذا الموضوع .. ومنها :

● **تزايد المساحة والدور الذى يعطيه الغرب للعامل الدينى فى العلاقات الدولية** - فالدين قبل القرن العشرين - قرن الثقافة

الغربية العلمانية - كان يلعب دورا «مركزيا» ، سواء فى العلاقات الدولية ، أو فى الحياة الداخلية للمجتمعات الغربية - وعَلْمَنَةُ الثقافة الغربية ، فى القرن العشرين ، لم تُغَيِّب الدين تماما . . وإنما أنزلته من موقع «المركز» . . لكنه يعود اليوم ، فى الغرب ، لاقتحام الشئون الدولية بصورة متزايدة . . يقول «مورتيمر» :

«إنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة - أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها، لأنه فى القرون الماضية لعب دورا مركزيا فى العلاقات بين الدول، وفى حياتها الداخلية.

وإذا لم يكن قد اعتبر عاملا مركزيا فى هذا القرن، فإن ذلك قد يعكس ببساطة حقيقة أن «المجتمع الدولى» للقرن العشرين، على حد تعبير هيدلى بول، كان إلى حد كبير ثمرة للثقافة الغربية الحديثة، وواحدة من سماتها العلمانية...»

فنحن ، إذن ، أمام حقيقة ، تمثل واحدا من متغيرات الفكر والسياسة فى الغرب . . حقيقة تزايد دور العامل الدينى فى نظرة الغرب للعالم وعلاقاته بالدول . . فى ذات الوقت الذى يريد فيه كسر شوكة الإسلام بالعلمانية . . فكأنما علمنة الغرب للإسلام ليست حبا مجردا للعلمانية ، وتفضيلا لها على الإسلامية - وفق معايير الاختيار والتفضيل الفكرية المجردة - وإنما هى وسيلة لكسر شوكة استعصاء الإسلام على التبعية والإلحاق والذوبان والاختراق ؟! . .

- وحقيقة ثانية تكشف عنها دراسة «إدوارد مور تيمر» - فى تأملها فائدة كبرى للذين ظنوا أن علمانية الغرب قد أزالت «العصبية الدينية» من مجتمعاته - فى بلد كإنجلترا ، يؤكد الكاتب أن العلمانية لا تعدو أن تكون «اسما» على غير مسمى ؟! . .

«فعلى الرغم من الإلغاء التدريجى - عبر ٣٠٠ سنة - لكل أنواع عدم الأهلية المدنية والسياسية من الناحية العملية عن معتنقى

الديانات والمذاهب الأخرى - (المغايرة لمذهب الدولة الدينى) - فإن ذلك لم يجعل المملكة المتحدة دولة علمانية إلا اسما»! . .

فدور الدين . . بل والمذهبية الدينية . . وإن تراجع فى اليقين الدينى ، والالتزام الخلقى . . إلا أنه لم يتراجع كعصبية ، وكمعيار لتعريف الذات ، ولتمييزها عن الآخرين؟! . .

● وحقيقة ثالثة - بالغة الأهمية - تكشف عنها الدراسة ، عندما تنبهنا - نحن الغافلين أو المتغافلين - على دور البعد الدينى - «المسيحى - الكاثوليكى» - فى بناء الوحدة الأوربية؟! . .

« فالكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هى منظمة عَبْر قومية، كثيرا ما يدلى رئيسها الروحى ببيانات متكررة تمس العلاقات الدولية، يرتبط فى كثير منها تعبير «المسيحية» و «أوربا» بصورة وثيقة.

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين فى كل بلد أوربى موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوربية حماسا، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوربى الحالى - كونراد أديناو [١] ، والسيد دى جاسبرى [٢]، وروبرت شومان [٣] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين..»؟!..

---

(١) كونراد أديناور Konrad adenawr (١٨٧٦ - ١٩٦١م) سياسى ورجل دولة ألمانى أسس الحزب المسيحى الديمقراطى سنة ١٩٤٥م . تولى مستشارية ألمانيا الغربية منذ سنة ١٩٤٩م وحتى وفاته .

(٢) السيد دى جاسبرى Alcide de Gasperi (١٨٨١ - ١٩٥٤م) سياسى ورجل دولة إيطالى ، أعاد تنظيم الحزب الديمقراطى المسيحى الإيطالى . رأس الوزارة الإيطالية سنة ١٩٥٣م . وأدخل إيطاليا حلف شمال الأطلسى .

(٣) روبير شومان . Schamann,r (١٨٨٦ - ١٩٦٣م) سياسى ورجل دولة فرنسى ، ومن كبار مهندسى الوحدة الأوربية عبر سلسلة من البرامج والخطوات التكاملية . . تولى وزارة الخارجية . . ورأس الوزارة . . وترأس البرلمان الأوربى . وهو صاحب المشروع السياسى الاقتصادى - الذى اشتهر باسمه - والذى لعب دورا محوريا فى الوحدة الأوربية .

فللعامل الدينى دوره فى الوحدة الأوربية - بشهادة «إدورد مورتيمر» - على حين نشهد حساسية الغرب من أى استثمار للعامل الدينى فى حياة المسلمين وعلاقاتهم الدولية . . بل إن هذا الاستثمار لوحدة أمتنا فى العقيدة هو موضع الإنكار والاستنكار من العلمانيين العرب والمسلمين ؟!

● وحقيقة رابعة ، تكشف عنها دراسة «المسيحية والإسلام» - «لإدورد مورتيمر» - تنبه الغافلين والمتغافلين عن دور البعد الدينى والعامل المسيحى والكنيسة الغربية فى هذا الزلزال الذى أسقط الشيوعية وطوى صفحة الماركسية ، وأعاد الحضارة الغربية إلى حيث تعرف نفسها تعريفا مسيحيا ، حتى لتستبدل بعدائها للشيوعية العداء للإسلام ؟! . .

فهذا الغرب الذى أعاد ترتيب بيته الحضارى . . والذى نهضت المسيحية بدور بارز فى المتغيرات التى أعادت هذا الترتيب . . إنما يُعَرِّفُ نفسه - وهو يبحث عن «الآخر - العدو» - بالمسيحية ، وبالتراث المسيحى ، وبالمغايرة للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . وحول هذه الحقيقة يقول «إدورد مور تيمر» :

«هناك أنطباع قوى بأن الإشارات إلى المسيحية، فى سياق دولى، قد تضاعفت فى وسائل الإعلام الغربية فى السنة الماضية - (سنة ١٩٩٠م) - أو ما إلى ذلك. ولا شك أن السبب الرئيسى فى هذا هو التغييرات التى وقعت فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية.

ففى بعض بلدان أوربا الشرقية لعبت الكنيسة دورا هاما فى أحداث التغيير السياسى: بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية، بصورة غير متوقعة، بدرجة أكبر، وكذلك تشيكو سلوفاكيا إلى حد ما.

وفى الاتحاد السوفيتى بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين

العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين في مقاومة النظام، وتقدمهم لإدانته، لم يكن بحال من الأحوال أمراً تافهاً، والأمر الذى كان مدهشاً حقاً هو السرعة التي اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة في بحث يائس عن شيء يملأ الفراغ، الأخلاقي المروع الذى كشف عنه انهيار الأيديولوجية الشيوعية[1]..

وكان لهذه الأحداث تأثير مدهش على المواقف الغربية، خاصة موقف أوربا الغربية. فقد حرم انهيار الشيوعية «الغرب» من ذلك «الآخر» ذي المعنى، فالغرب لم يعد يستطيع تعريف نفسه اكتفاء بالإشارة لذلك الآخر، وبدلا من الكتلة السوفيتية، التي يهيمن عليها نظام للقوة معاد وخطر، وتتوحد معه، اكتشفنا زملاء أوربيين يشاركوننا ميراثنا الحضاري والديني، ويتطلعون لمشاركتنا الحرية والازدهار. لقد ذاب الستار الحديدي فجأة.

مطلوب عدو جديد:

أراد الغرب أن يتوحد مع شعوب أوربا الشرقية التي خرجت من إسار الطغيان، وجعلنا هذا نركز على ماهو مشترك معها، ولكن ليس مع آخرين: فالطبيعة البشرية تجعل مجموعة مّاتُعَرّف بما ليست عليه ماهيتها، تماما مثلما تُعَرّف حسب ماهيتها.

بل لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي. وبالنسبة لهذا الغرض، فإن «الإسلام» جاهز في المتناول.

والتراث المسيحي عنصر هام في الثقافة الغربية، التي نشترك فيها، أو نعتقد ذلك، مع الأوربيين الشرقيين. ومع ذلك فإن الإصرار على

(١) يشير الكاتب - كشاهد على هذه الحقيقة - إلى مرجع : (جورباتشوف .. الجلاسنوست والإنجيل) من تأليف : مايكل بوردو . طبعة لندن . هورد أندستوتون - سنة ١٩٩٠م ..

المسيحية، باعتباره سمة للتعريف، يعنى ضمنا، البحث عن غير المسيحيين المجاورين الذين يمكن أن تتناقض مع مجتمعهم، أوربا الجديدة / القديمة هذه..

إن ما كان مطلوبا هو شيء كنا نستطيع أن نعتبره غريبا على مجتمعنا وخطرا عليه. وقد وَفّى الإسلام بالمراد. لماذا؟

أوراق اعتماد الإسلام:

أولا: هناك قربه الجغرافي: فلو سافرت جنوبا من أى مكان تقريبا فى أوربا، فإن أول مجتمع غير أوروبى (أو غير مسيحى) ستقابله سيكون مجتمعا إسلاميا.

تأتى بعد ذلك سلسلة من الذكريات الشعبية التاريخية أو شبه التاريخية عن المعارك بين المسلمين والمسيحيين، تمتد عبر أوربا كلها. وفى هذه الذكريات يظهر المسلمون كغزاة: المغاربة البربر الذين غزوا إسبانيا، والعرب المسلمون الذين أغاروا على فرنسا وإيطاليا، والأتراك على أبواب فيينا، والتتار الذين أخضعوا موسكو.

وغالبا مايتم تناسى حقيقة أن الأوربيين غزوا وفتحوا عمليا كل البلاد الإسلامية فى وقت أحدث، أو ترد ذكرى ذلك فقط بطريقة تصور المسلمين كأشرار، كما أن مقاومتهم للتسلل الاستعمارى، والتى تمت غالبا تحت قيادة دينية، أو تمت تعبئتها بشعارات دينية، تذكر باعتبارها تعصبا. ومازالت هذه الحكايات مستمرة حتى الآن. إن الفلسطينيين يقاومون الاحتلال الإسرائيلى، ويسعون أحيانا إلى ضرب القوى الغربية مباشرة، لأنهم يعتبرونها مسئولة عن ذلك. وقد تمرد الإيرانيون على النفوذ الغربى، مستخدمين العنف أساسا داخل إيران فى المحل الأول ضد إيرانيين آخرين، مع عدد قليل نسبيا من الهجمات على أشخاص غربيين، أشهرها عملية احتجاز ٥٠

ديبلوماسيا أمريكيا كرهائن في سنة ١٩٧٩ - ١٩٨١م، والتي كانت عملا رمزيا، وتم حلها سلميا في النهاية.

ولكن، في التصور الغربي لمثل هذه الأحداث، يتم دائما تضخيم العنف الذي يرتكبه المسلمون، أما العنف ضد المسلمين فيتم تجاهله والتهوين من شأنه.

وحتى المقاومة الأفغانية ضد الاحتلال السوفيتي، حظيت فقط بتعاطف من وراء القلب في الغرب. وفي السنتين أو الثلاث الأخيرة، تم اكتشاف مثل هذه التناقضات داخل الاتحاد السوفيتي[1].

وفيما يتعلق بالصدام بين أرمينيا وأذربيجان، فإن الرواية الأرمنية للأحداث تحظى دوما في الغرب بمصداقية، أكبر من الرواية الأذربيجانية، كما أن استخدام القوة العسكرية لقمع الحركة القومية البازغة في أذربيجان، أثار في الغرب اعتراضا أقل مما أثاره استخدام الضغط الاقتصادي أساسا ضد شعوب البلطيق (المسيحية)، ويحظى جورباتشوف بالتعاطف في الغرب عندما يعتبرونه داخلا في صراع مع «نزعة التعصب الإسلامية»، التي تصور دوما باعتبارها نزعة عنيفة، وعادة نزعة غير رشيدة أيضا.

وبالمثل، في الشرق الأوسط، فإن امتلاك أسلحة طويلة المدى أو عالية التدمير من قبل دولة إسلامية، كإيران والعراق أو ليبيا، يعتبر، بصورة آلية، خطرا على أوربا، في حين لا يخرجون بنفس النتيجة عن امتلاك إسرائيل لها (وهي باعتراف الجميع ليست دولة «مسيحية»، ولكنها دولة تصنف عادة، خاصة في الخطاب الأمريكي، تحت عنوان «حضارة يهودية مسيحية»).

---

(١) نشرت هذه الدراسة في يناير سنة ١٩٩١م.. وبعد ذلك - وفي نفس العام انهار وتفكك الاتحاد السوفيتي، وتحول إلى جمهوريات مستقلة.

قد تكون هناك مبررات جيدة لذلك، ولكن لا ريب أن واحدا منها هو أننا لا نتصور أن الغرب سيتخذ إجراء يدفع إسرائيل للانتقام، فى حين أننا، حتى قبل أزمة الكويت، نجد أنه من السهل تخيل أن مثل هذا يسهل اتخاذه ضد الدول الإسلامية.

وقد اتفق أن تواكبت التغييرات فى أوربا الشرقية مع حدوث زيادة مفاجئة فى القلق من جراء وجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوربا الغربية، وارتبط ذلك بقضية سلمان رشدى[1] فى بريطانيا، والخلاف حول الفتيات المسلمات اللاتى يضعن غطاء على الرأس فى مدارس فرنسا.

إن هذه الجاليات «المهاجرة» موجودة منذ ٢٠ أو ٣٠ سنة، ومن ثم لم تعد مهاجرة بالمعنى الدقيق، حيث أنها تتضمن جيلا واحدا على الأقل من البالغين الذين ولدوا فى البلدان التى يعيشون فيها حاليا. ومن المؤكد أن الاحتكاك بينهم وبين أجزاء من المجتمع الذى يعيشون فيه ليس أمرا جديدا، ولكن قبل سنة ١٩٨٩م[2] لم يكن السخط عليهم منصبا على دينهم فى المحل الأول، وكانوا إجمالا يحظون على الأقل بمساندة معنوية من المؤسسة الثقافية الليبرالية ضد الأحكام المسبقة والتمييز العنصرى الذى يتعرضون له. ومع ذلك، ففى سنة ١٩٨٩م خسروا هذه المساندة بسبب أن دينهم اعتبر معاديا لبعض الأسس التقليدية للحرية

---

(١) كاتب بريطانى الجنسية، هندى المولد .. كتب رواية عنوانها (آيات شيطانية) أهان فيها رسول الإسلام، محمد بن عبد الله، ﷺ .. وصحابته .. وجدف فى عدد من عقائد الإسلام ومقدساته .. ولقد مثل الانتصار الغربى له موقفا معاديا للإسلام والمسلمين.

(٢) هو عام التغيرات التى طوت صفحة الماركسية ونظمها، وجعلت الغرب يُعَرِّف نفسه باعتباره مسيحيا، وباعتبار الآخر .. العدو الجديد .. هو الإسلام وأمته وعالمه.

الغربية: - في بريطانيا، حرية التعبير والنشر، وفي فرنسا، العلمانية - أي الحياد الديني للدولة، وبصفة خاصة النظام الدراسي للدولة....

إن كلا الأمرين قد جعلا أوربيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع العلماني، مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة طويلة ومؤلمة؟ وما إذا كان دينا على قدر من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضا لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبدا لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية يسودها التسامح[1].؟؟..

والواقع أن هناك احتمالا مماثلا على الأقل في أن مثل هذه المشكلات - (الهجرة) - ستنزل على أوربا الغربية، ليس من الجنوب المسلم، وإنما من الشرق «المسيحي» لو نجح الانتقال للديمقراطية وللرأسمالية الذي تجري محاولة تطبيقه حاليا في شرق أوربا والاتحاد السوفيتي. لكن فكرة هبوب موجة من المهاجرين الأوربيين إجمالا تسبب انزعاجا أقل، ويرجع ذلك تحديدا إلى افتراض أن ميراثهم المسيحي سيجعلهم قابلين للاستيعاب في أوربا الغربية بطريقة لا تتوافر للمسلمين القادمين من شمال إفريقيا أو تركيا. وليس هناك شك كبير في أن هذا الاعتقاد يكمن وراء كثير من المبررات التقنية والظرفية التي تقدم للاعتراض على النظر في قبول تركيا عضوا كاملا في الاتحاد الأوربي، أو على الأقل تأجيل ذلك.

(١) ولنا على معنى التسامح هنا تحفظات . . فحرية إنجلترا تتسامح مع إهانة إله المسلمين ورسولهم . . ولا تتسامح مع العيب في الذات الملكية ، أو عقائد المسيحية! . . وحرية فرنسا تتسامح مع حق العري والشذوذ الجنسي ، ولا تتسامح مع حق المرأة في ستر عورتها !! . .

إن كل هذه العوامل تدفع أوربا لأن تُعَرِّف نفسها، ربما ليس من زاوية المسيحية نفسها، وإنما بالقطع من زاوية التراث المسيحى، والتركيز بصورة حادة بقدر الإمكان على التمايز والحدود بينها وبين عالم الإسلام..»

تلك هى الحقيقة الرابعة من حقائق شهادة «إدورد مورتيمر» . . حقيقة دور العامل الدينى - المسيحى - فى المتغيرات التى وحدت الحضارة الغربية . . وكيف أصبحت هذه الحضارة - المسيحية - اليهودية/ الغربية - تُعَرِّف نفسها بالمسيحية ، أو بالتراث المسيحى الجامع لها . . وأيضا بمغايرتها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . إلى الحد الذى جعلها تتخذ منه العدو الذى أحلته محل «إمبراطورية الشر الشيوعية» ؟! . .

- أما الحقيقة الخامسة ، والأخيرة ، من حقائق شهادة «إدورد مورتيمر» - فى دراسته عن «المسيحية والإسلام» - فإنها تكشف عن ارتباط «الدنيوى» بـ «الدينى» فى هذا الموقف الغربى من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه . .

فالبعد «الدينى - المسيحى» ، الذى يدفع الغرب إلى مناصبة الإسلام وعالمه العداء . . إنما هو موظف لا فى حرص الغرب على «هداية» المسلمين إلى الصراط الدينى المستقيم؟! أو الخوف عليهم من أن يحرموا ، فى الآخرة ، من «جنات النعيم» التى يتصورها نصارى الغرب خاصة بهم؟! . . وإنما وظيفة هذا العامل الدينى ، الذى يؤجج نيران عداوة الغرب للإسلام وعالمه ، هى السعى للحيلولة بين الإسلام وبين إيقاظ أمته وعالمه ، مخافة تأثير هذه اليقظة على النظام الدولى والعلاقات الدولية والهيمنة الغربية على الشرق الإسلامى؟! . .

إن ما بين «غانة» و «فرغانة» - غربا وشرقا - . . وما بين حوض نهر الفولجا وأسفل خط الاستواء - شمالا وجنوبا - وهو عالم الإسلام - إنما يمثل أكبر «الغنائم» فى فم «الأسد الغربى» . . وإن إيقاظ الإسلام لأمة هذا العالم إنما يمثل أعظم زلازل وانقلابات التاريخ الحديث والمعاصر . . وتلك هى المقاصد «الدنيوية» التى يستعين الغرب فى صراعه حولها بكل السبل والآليات . . الدينية والدنيوية جميعا ! . . فمن الخطأ - بل والحماقة - تفسير هذا الصراع «الحضارى - التاريخى - المصيرى» بعامل واحد - سواء من جانب الغرب . . الذى يُعَرِّف نفسه مسيحيا . . أو من جانب المسلمين ، الذين يمثل الإسلام بالنسبة لهم مصدر الحياة والإحياء - فى الدنيا وفى الآخرة معا - ؟ ! . .

إلى هذه الحقيقة يشير «إدورد مورتيمر» . . وينبه على دورها فى ذلك الاهتمام الذى تحظى به ظاهرة الإحياء الإسلامى ، فى مؤسسات البحث العلمانية ومراكز الدراسات السياسية . . وليس فقط فى دوائر الكنيسة واللاهوت . . فيقول :

«إن ظاهرة الإشارة إلى الإسلام، واستخدام اللغة الإسلامية لدى دول منظمة المؤتمر الإسلامي - كما اكتشف مؤتمر معهد تشاشام هاوس في سنة ١٩٨٢م - تتباين بصورة واسعة. ومع ذلك فقد وجد أن هذه الظاهرة آخذة في الزيادة في عدد من الدول الإسلامية - مصر والعراق وباكستان - ..

إن الحساسيات الإسلامية، مقترنة بالقومية العربية، تعتبر بصفة عامة الخطر السياسي الرئيسي الذي يواجه الدول الغربية التي تسعى للقيام بدور نشط في الشرق الأوسط... وبالإضافة إلى ذلك، فإن صعود الأحزاب التي تصف نفسها بأنها إسلامية في السياسة الداخلية

لطائفة عريضة من البلدان، وبصفة خاصة تلك الأقرب إلى أوربا، مثل الجزائر وتونس، أمر مرجح أن يؤثر على العلاقات بين تلك البلدان والغرب[1]..»

وحتى لا تغير اليقظة الإسلامية موازين القوى السائدة - وغير المتكافئة - فى علاقة الغرب بعالم الإسلام . . كان اهتمام الغرب بدراسة هذه اليقظة . . والكاتب يضرب مثالا - مجرد مثال - على هذا الاهتمام ، فيقول :

«إن الإسلام مطروح على جدول الأعمال الدولى، على الأقل منذ الثورة الإسلامية فى إيران - (سنة ١٩٧٩م) - .. ولقد كان مؤتمر معهد تشاثام هاوس سنة ١٩٨٢م، إلى جانب مؤتمر آخر حول «الإسلام فى العملية السياسية» - الذى عقد فى سنة ١٩٨١م - جزءاً من مشروع كبير للبحوث لمعهد تشاثام هاوس حول تأثير الإسلام على النظام الدولى، مولته مؤسسة فورد. ولم يكن المعهد منفردا فى تناول موضوع إسلامى فى ذلك الوقت؟!»..

تلك هى شهادة خبير ، من رجالات الفكر الغربى ، نشرتها واحدة من أكثر المجلات الغربية تخصصا ورصانة . . عن موقف الغرب ، المعادى للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . .

فالغرب ، الذى توحدت حضارته ، بعد انهيار الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها ، تتزايد مساحات البعد الدينى - المسيحى -

---

(١) لقد نشرت هذه الدراسة قبل إجهاض الديمقراطية فى الجزائر - يناير سنة ١٩٩٢م - عندما أتت بالإسلاميين . . وقبل تجريد الإسلاميين فى تونس من أبسط حقوق الإنسان . . ولقد أيد الغرب - «الديمقراطى» . . المناصر «لحقوق الإنسان» - أعداء الديمقراطية وحقوق الإنسان ، حتى لا تؤثر اليقظة الإسلامية على علاقة الغرب بتلك البلدان ! .

فى تعريفه لذاته . . وهو قد قرر اتخاذ الإسلام وعالمه عدوا ، أحله محل «إمبراطورية الشر الشيوعية» . . لأنه يرى فى الإسلام وثقافته التحدى الوحيد الذى يهدد حضارته التى تأخذ الأمراض المادية بخناقها . . فيسعى لكسر شوكة الإسلام بعلمانيته ، كى لا يوقظ المسلمين فتتحرر أوطانهم من الهيمنة الغربية ، ويقع الزلزال الذى يخافه الغرب فى موازين القوى والعلاقات الدولية ؟! . .

* * *

● والشهادة الثانية من شهادات رجال الفكر الغربى - والتى نشرتها المجلة البريطانية الأكاديمية المتخصصة - «شئون دولية» - هى لعالم الأنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» عن «الإسلام والماركسية» . .

تؤكد هى الأخرى على أن قضية الغرب مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه هى قضية الهيمنة والإلحاق . . وأن عداء الغرب للإسلام نابع من استعصاء الإسلام على العَلْمَنَة ، التى هى شرط التبعية والإلحاق . . فالحضارة الغربية العلمانية ، التى هيمنت على العالم بالغزوة الاستعمارية الحديثة ، قد اكتشف أن الإسلام هو الحالة الوحيدة والنموذج الفريد ، الذى لا يقف من النموذج الغربى موقف المقلد الذليل المحاكى . . لأن هذا الإسلام ، فضلا عن إحساسه بسمو صورة نموذجه الحضارى الخاص تاريخيا ، فإن هذا النموذج الخاص ، المستعصى على العَلْمَنَة ، قادر على التجدد ، ومالك لإمكانات وشروط التحديث «المحلية» غير الغربية . . أى غير العلمانية . . وهذه الحالة الإسلامية الفريدة ، التى تعوق عموم هيمنة النموذج الغربى أنحاء العالم ، هى التى تؤجج نيران عداء

الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . لقد ظن الغرب أنه - بالتصنيع وبالعلم الحديث - قد تخلص من الإيمان الدينى . . وأن العلمانية قد سادت . . ثم اكتشف استعصاء الإسلام على هذا المقصد ، الذى هو لب النموذج الحضارى الغربى الحديث ! . .

تعرض شهادة «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة - داعمة شهادة «إدورد مورتيمر» - فتقول :

«إن النظرية التى يعتنقها علماء الاجتماع، والتى تقول إن المجتمع الصناعى والعلمى الحديث يقوض الإيمان الدينى - مقولة العَلْمَنَة - صالحة على العموم. بالطبع إنها ليست صالحة بنسبة ١٠٠ فى المائة، وهى تتباين فى التفاصيل والفروق الدقيقة من حالة إلى حالة، لكن التأثير السياسى والسيكولوجى للدين قد تناقص عمليا فى كل المجتمعات وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة.

وعالم الإسلام استثناء مدهش وتام جدا من هذا[1] !.

أعتقد أنه من العدل القول بأنه لم تتم أى علمنة فى عالم الإسلام إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به هى سيطرة قوية، وهى بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من ١٠٠ سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعَلْمَنَة نوعا ما، والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحا فى ظل مجموعة كاملة من النظم السياسية، فهو صحيح فى ظل نظم راديكالية - (ثورية) - اجتماعيا، تحاول أن تدمج الإسلام بالمصطلحات والأفكار الاشتراكية، وهو صحيح أيضا فى ظل النظم التقليدية التى تنتمى الصفوة فيها لعالم ابن خلدون، والتى تأتى من الشبكة القبلية الحاكمة، وهو صحيح بالنسبة للنظم التى تقف بين النوعين..»

---

(١) لاحظ أوصاف : «مدهش» و «تام» و «جدا»؟!

ثم يبرز «إرنست جيلنر» سر استعصاء الإسلام على العَلْمَنَة ، ومقاومته لتأثيراتها . . رغم التصنيع والعلم الحديث . . بل وتزايد هذه المقاومة ، حتى أن سيطرة الإيمان الديني الإسلامي على أتباعه قد غدت الآن أقوى مما كانت منذ قرن من الزمان . . فقبل قرن كان تخلف المسلمين أكبر ، وكان انبهارهم بالنموذج الغربي أكثر . . أما اليوم ، وبعد وضوح سلبيات وانكشاف عورات النموذج الغربي ، فإن التقدم الصناعي والعلمي لم يحدث ، في عالم الإسلام ، التأثيرات العلمانية التي حدثت في العوالم الأخرى . . لا لشيء إلا لأن في النموذج الإسلامي ، وفي تقاليده المحلية البواعث والمنطلقات والمعايير التي هي قادرة على إفراز نموذج للتقدم والتحديث إسلامي ، أي غير علماني . . فعالم الإسلام يستطيع أن يتقدم ويتجدد ، ويصبح حديثا ، دون أن يتعلمن ويفقد إيمانه الديني . . أي دون تقليد للنموذج الغربي العلماني . . ومن ثم دون أن يقف موقف الذليل الذي يتطلع ، بصغار ، إلى «المثال العلماني»؟! . .

يبرز «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة ، التي نلح على العلمانيين من أبناء جلدتنا ، كي يفهموها . . حقيقة امتلاك الإسلام «لبديل حضاري متميز» . . فيقول - لهم ولنا ؟! :

«إن وجود تقاليد محلية للإسلام.. قد مكن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعضلة التي أرقت مجتمعات أخرى «غير متطورة»، أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال: معضلة ما إذا كان ينبغي إضفاء طابع مثالي على الغرب ومحاكاته (خيار باعث على الإذلال)..

لم يكن الإسلام في حاجة إلى هذا الخيار، لأن صورته السامية الخاصة يتوافر لها السمو من الناحية الدولية، ورغم ذلك فهي محلية من

الناحية الفعلية. ونتيجة لذلك، فإن عملية الإصلاح الذاتى استجابة لدواعى الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان المحلى. وذلك هو تفسيرى الأساسى لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العَلْمَنَة..»

ونحن نلفت النظر إلى عبارة هذا المفكر الغربى : «**إن عملية الإصلاح الذاتى، استجابة لدواعى الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان الإسلامى المحلى**»..

وندعو إلى مقارنة دلالاتها بدلالات عبارة الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) - التى قالها منذ مايقرب من مائة عام . . والتى تقول عن الخيار الإسلامى للنهضة والإصلاح :

«**إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح فى المسلمين، لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى بناء جديد، ليس عنده من مواده شىء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا.**

وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم فى غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث مالا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!.. لقد جاء الإسلام فهدى ضالا، وألان قاسيا، وهذب خشنا، وعلم جاهلا، ونبه غافلا، وأثار إلى العمل كَسِلا، وأقدر عليه وَكِلا، وأصلح من الخلق فاسدا، وروج من الفضيلة كاسدا، ثم جمع متفرقا، ورأب متصدعا، وأصلح مختلا، ومحاظلما، وأقام عدلا، وجدد شرعا، ومكن للأمم التى دخلت فيه نظاما امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان الدين بذلك عند أهله: كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك، وظهرت به آثار

النعمة عليهم في جميع شئونهم، ولم يفت العلم حظه من عنايته، بل كان قائده في جميع وجوه سيره[1] ..»

فالإسلام هو السبيل لمريد الإصلاح فى المسلمين ، وهو الكافل لمن أراد : كمالا للشخص ، وألفة فى البيت ، ونظاما للملك . . وليست سبيل الإصلاح فى المسلمين هى السبل «العارية عن صبغة الدين» - أى «العلمانية» ؟!-

هكذا قال الإمام محمد عبده ، منذ نحو مائة عام ، للذين انحازوا إلى النموذج الغربى العلمانى . . . . واليوم يكتشف المفكر الغربى ، عالم الأنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» أن الإسلام ، لامتلاكه النموذج الإيمانى فى النهضة والتجديد والتحديث قد استعصى على العَلْمَنَة . . وتفرد بهذا الاستعصاء من بين كل الأنساق الحضارية التى ابتليت أممها بهيمنة الحضارة الغربية . . الأمر الذى أجج نيران عداوة الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه! . .

* * *

● وإذا نحن شئنا - بعد نماذج «شهادات الفكر» - التمثيل بنماذج من «شهادات السياسة والسياسيين» على عداء الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . وسعيه لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية ، حتى يلحقه ، تابعا ، ومقلداً ، للنموذج الحضارى الغربى ، للتتأبد التبعية فى مختلف الميادين . . إذا نحن شئنا نماذج لشهادات رجالات السياسة الغربيين على هذا الأمر . . فإن لدينا «شهادة» تكاد أن تكون «**إعلانا للحرب**» ضد العالم الإسلامى . . إما أن يقبل النموذج الغربى ، وإما أن يكون العدو

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ ص ٢٣١ ، ٢٢٦ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م .

- بدلا من «إمبراطورية الشر الشيوعية» - التى انهارت - فتتوجه إليه قوى الدمار التى كانت موجهة «للستار الحديدى» ، وبذلك يصبح «العالم مكانا فى منتهى الخطورة» ؟! . .

إنها شهادة «جيانى ديميكليس» - السياسى الإيطالى البارز - لا بوصفه ، فقط ، وزير خارجية إيطاليا . . فلقد كان يتولى ، عندما قال ماقال ، رئاسة المجلس الوزارى الأوربى - ؟! . . فلقد سأله مراسل مجلة «النيوزويك» الأمريكية :

- «ماهى مبررات بقاء حلف الأطلنطى - الناتو - بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالى والمعسكر الذى كان اشتراكيا؟»
- فأجاب رئيس المجلس الوزارى الأوربى : «**صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة. إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الإسلامى**».
- فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأل : «وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟»
- لم يتردد «جيانى ديميكليس» فى أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضارى الغربى وقبول المسلمين له . . فقال : «**ينبغى أن تحل أوربا مشاكلها، ليصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى فإن العالم سيصبح مكانا فى منتهى الخطورة؟؟!!..**»[1]

نعم . . إنه بمثابة «إعلان حرب» من الغرب على العالم . . حرب «حضارية» . . فإما القبول «بالنموذج الغربى» . . وإما أن تتحول

(١) (الأهرام) عدد ١٧ يوليو سنة ١٩٩٠م - من مقال الأستاذ فهمى هويدى «من يعادى من؟» - وهو ينقل عن عدد «النيوزويك» الصادر بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩٩٠م .

المواجهة من قبل حلف الأطلنطى - التى كانت مصوبة «لإمبراطورية الشر الشيوعية» إلى «العالم الإسلامى» ، المستعصى على العَلْمَنَة ، والرافض للنموذج العلمانى الغربى سبيلا للنهضة والتحديث !! . .

● وعند هذا الحد من الحديث عن أن القضية ليست موقفنا نحن من الغرب . . وإنما هى الموقف الغربى المعادى لنا . . عند هذا الحد من الحديث . . قد يتساءل البعض : ألا يمكن أن تكون هذه «الشهادات» - مع صدقها . . وتوثيقها - مجرد تعبير عن شريحة محدودة فى فكر الغرب وسياسته؟؟ . . وألا نكون أمام خطر ووهم التعميم والإطلاق الذى يظلم الغرب كحضارة وأمم وشعوب ومدارس فى الفكر والسياسة ؟؟ . .

ونحن نعترف بأن هذا التساؤل مشروع . . . ونبادر فنؤكد على خطر وخطأ التعميم والإطلاق . . فليس كل مفكرى الغرب أعداء للإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . وليس كل ساسة الغرب دعاة حرب حضارية ضد عالم الإسلام . .

ولكننا نؤكد على أن هذه المواقف المعادية للإسلام وحضارته ليست مجرد «**شريحة هامشية**» فى العقل الغربى . . بل إنها التعبير الأمين عن «**القسمة الرئيسية**» فى هذا العقل ، والترجمة للمخزون الضخم من العداء المستقر فى وجدان الإنسان الغربى تجاه عالم الإسلام ! . .

ونحن ، هنا سندع الحديث جانبا عن «**ممارسات الغرب**» ضد عالمنا الإسلامى ، فى السياسة والاقتصاد والعسكرية والمحافل الدولية . . فتلك صفحات من التاريخ ، القديم والحديث والمعاصر تحتاج إلى مجلدات طافحة صفحاتها بدماء ودموع المأساة ؟! . .

ولن نتحدث عن المجلدات التى رصد فيها مشروع بحثى واحد الأخطاء والافتراءات التى ألصقت بالإسلام فى الكتب الدراسية ببلد غربى واحد - هو ألمانيا[1] - ؟! . .

ولن نعرض لما كتبه عالم فذ - غير مسلم - ويعيش فى الغرب - وهو الدكتور إدور سعيد - عن «الاستشراق» وعن صورة الإسلام وحضارته وأمته وعالمه فى الفكر والوجدان والإعلام الغربى[2] . .

لن نعرض لشىء من ذلك - فالمقام لا يحتمل - . . وإنما سنقدم شهادة سياسى غربى بارز - هو الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» - في أحدث كتبه «الفرصة السانحة» Seize the moment التى تؤكد أن هذا الموقف العدائى من الغرب تجاهنا ، والذى تعبر عنه هذه «الشهادات» ، إنما يترجم ويفصح عن الفكر والتصورات السائدة لدى الرأى العام الغربى . . فهؤلاء المفكرون والساسة الذين قدمنا شهاداتهم ليسوا نشازا ولا شذوذا . . وكما قدمت مجلة «شئون دولية» لهذه الشهادات الفكرية فقالت إنها «**صورة الأفكار الرائجة الآن فى الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى**» . . فإن «نيكسون» ، هو الآخر - وهو سياسى ومفكر استراتيجى - يؤكد على هذه الحقيقة ، عندما يقول :

«**إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء.....**

وقليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقة العالم الإسلامى، إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد وأتباعه هى السبب فى انتشار الدين

---

(١) (وهى مجلدات أنجزها مشروع بحثى نهضت به «جمعية الدعوة العالمية الإسلامية» . .

(٢) انظر له كتاب (الاستشراق : المعرفة . السلطة . الإنشاء) ترجمة : كمال أبو ديب . طبعة بيروت سنة ١٩٨١م . وله كذلك كتاب (تغطية الإسلام) .

الإسلامي في آسيا وإفريقيا وحتى أوربا، وينظرون بارتياح إلى الحروب الدينية في المنطقة....

ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون - بالمصادفة - على بعض الأماكن التى تحوى ثلثي البترول الموجود في العالم.

ويتذكرون ثلاث حروب قامت بها الدول العربية في محاولة لمحو إسرائيل.

ويتذكرون أيضا احتجاز الرهائن الأمريكيين في إيران بواسطة آية الله خميني المتطرف.

وكذلك هجوم الإرهابيين على القرية الأولمبية في ميونيخ بواسطة جماعة «أيلول الأسود».

والمذابح التى لا نهاية لها ولا معنى بين الميليشيات المسلمة في لبنان.

وتفجير الطائرات المدنية بواسطة السوريين والليبيين.

وغزو الكويت الذى قام به صدام حسين تشبها بهتلر.

وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة - حتى بالنسبة للصين الشيوعية - في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي.

ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني، والإمكانات المادية المتاحة، سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي.

ويزيد هذا الرأى: بأن الإسلام والغرب متضادان، وأن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين: «دار الإسلام» و «دار الحرب»، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام

بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة[1]..» !

تلك هى الصورة الزائفة والظالمة ، التى زيفت بها مؤسسات ووسائل الفكر والثقافة والإعلام وعى الإنسان الغربى . . حتى غدت «**أسوأ صورة**» فى وعى ذلك الإنسان . . بل أسوأ من صورة «إمبراطورية الشر الشيوعية» فى ذهن ذلك الإنسان . . حتى غدا ذلك الإنسان «**ينظر إلى كل - (نعم.. كل) - المسلمين كأعداء**» - كما يقول نيكسون - ؟! . .

ومن ثم . . فنحن أمام «رصيد ومخزون من العداء» ، يستند إليه وينطلق منه ويستجيب له المفكرون والساسة الذين يخططون وينفذون لكسر شوكة الإسلام ، ومناصبة أمته وعالمه العداء ! . . ولسنا بإزاء موقف هامشى لا سند له فى الغرب ولا رصيد . .

إنها - بتعبير مجلة «شئون دولية» - : «**الأفكار الرائجة فى الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى**» . . وليست الشذوذ ، ولا الاستثناء . . فضلا عن أن تكون وهما نخترعه نحن ، لأننا من هواة شن الحرب على الغرب وحضارته . . كما يدعى نفر من إخواننا العلمانيين ؟! . . .

ولو أن هذه الصورة - التى ليس هناك صورة أسوأ منها - فى ذهن وضمير المواطن الأمريكى - الذى قلد رعاة البقر من أبنائه سيوف سلاطين المماليك - فى النظام العالمى الراهن - ؟! . . لو أن هذه الصورة عن الإسلام وأمته كانت واقعية لالتمسنا للغرب الأعذار فى عدائه لنا ، وفى حربه علينا . . ولكن حتى «نيكسون» - الذى

---

(١) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة) ص١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٥ ترجمة : أحمد صدقى مراد . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م .

أورد ملامح هذه الصورة - دون أن يوافق عليها - لم يفتح الله عليه بتفنيدها . فلم يقل للرأى العام فى الغرب :

- إن سيوف نبى الإسلام وأتباعه لم تحارب شعبا من شعوب البلاد التى فتحها المسلمون . . وإنما حاربت الغزاة البيزنطيين الذين كانوا يحتلون الشرق منذ غزوات الإسكندر المقدونى (٣٥٦ - ٣٢٤ ق .م)؟! . . وذلك فضلا عن أن أغلب البلاد والشعوب التى اعتنقت الإسلام قد عرفته عن طريق التجار والعلماء وليس عن طريق الفتوحات والسيوف! . .
- وأن الدمار المادى ، الذى صنعته الحروب العالمية الغربية . . والدمار المعنوى الذى صنعه الانحلال الغربى . . جدير بأن يطرح السؤال : من هم الدمويون . . غير المنطقيين . . وغير المتحضرين ؟؟! . .
- وفى الحروب مع إسرائيل . . من يمحو من؟! . . الصهاينة؟ . . أم الفلسطينيون؟! . .
- واحتجاز الرهائن الأمريكيين فى إيران - ونحن لسنا من مؤيديه - كرد فعل - هل يوازى احتجاز الهيمنة الأمريكية لمقدرات كل إيران - قبل الثورة وبعدها- ؟! . .
- وهل من الإنصاف الوقوف عند هجوم جماعة «أيلول الأسود» على القرية الأولمبية . . دون التساؤل عن من الذى جعل «أيلول» «أسودا»؟! . . بل وجعل السنين والعقود - بالنسبة لأمتنا - حالكة السواد؟؟! . .
- ومن هو الصانع الحقيقى للنزاعات الطائفية ، المحركة لصراعات الميليشيات؟! . .
- ومن هو «مختطف الأوطان» الذى يدفع ضحاياه إلى الصراخ «بخطف الطائرات»؟! . .

- ومن الذى دفع صدام حسين لغزو إيران؟ . . ثم استدرجه إلى «مصيدة الكويت» ؟! . .

لم يفتح الله على نيكسون بتفنيد الصورة الزائفة ، التى صنعها لنا الغرب ، والتى جعلت صورة كل المسلمين أسوأ الصور فى ذهن وضمير الإنسان الغربى . . . والتى أتاحت وتتيح لساسة الغرب أن تزداد جماهيريتهم كلما أهانوا الإسلام وأذلوا المسلمين ؟! . .

* * *

● ومرة أخرى . . . وعند هذا الحد من هذا الحديث . . قد يتساءل البعض :

- وهل كل ساسة الغرب يريدون شن الحرب على الإسلام والمسلمين؟! . . وأليس فيهم معتدل . . أو رشيد ؟! . .

وهنا ، أيضا ، نعود فنذكر برفضنا للإطلاق والتعميم فى الأحكام . . لكننا ننبه على أن التيار الأغلب والأعم فى الفكر وفى السياسة الغربية إنما يجمعه جامع السعى لفرض النموذج الحضارى الغربى - العلمانى - على الحضارة والتحديث فى عالم الإسلام . . وأن الخلاف بين الغربيين لايعدو الاختلاف حول أسلوب تحقيق هذه الهيمنة والتبعية والاحتواء ؟! . .

وحتى «ريتشارد نيكسون» - الذى لا يرضى عن هذه الصورة للمسلمين ودينهم فى الوعى الأمريكى - والذى يقول : «إن الإسلام ليس مجرد دين ، بل هو أساس لحضارة كبرى . . وبينما كانت أوربا ترتع فى غياهب العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية فى أوج ازدهارها . ولقد أسهم المسلمون كثيرا فى تقدم العلم والطب والفلسفة . .»[1]

والذى يتحدث عن حاضر العالم الإسلامى وتطلعاته فيقول :

---

(١) المصدر السابق . ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

«إن العالم الإسلامى هو حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية ، لقد تمكن هذا العالم من تحرير نفسه من الاستعمار فى الخمسينيات والستينيات . وبعد ذلك اندفع ، وهو مغمض العينين - (؟؟!) - فى اتجاه عدم الانحياز ، واتحاد العرب - (؟؟؟!) - وسياسة رد الفعل . وسوف يعاود البحث فى التسعينيات ، وما بعدها ، عن مكانه اللائق به بين دول العالم ، وعلى الولايات المتحدة أن تساعده فى ذلك بطريقة بناءة . . فترسم سياسة طويلة المدى تؤدى إلى توجيه العالم الإسلامى الوجهة الصحيحة التى تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة[1] . .»

حتى «نيكسون» - الذى يتخذ هذا الموقف «المعتدل» . . والذى يدعو إلى سياسة أمريكية «تؤدى إلى توجيه العالم الإسلامى الوجهة الصحيحة التى تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة . .» لأن هذا العالم «يبحث عن مكانه اللائق به بين دول العالم» . .

نراه - «نيكسون» - لا يتصور لعالم الإسلام مكانة إلا مكانة **«تركيا.. العلمانية.. التى تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر - (الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية»**[2] ؟!.

فكأنما الحد الأدنى أو الأقصى «للاعتدال الغربى» هو العلمانية والإلحاق؟!..
وكأنما التمايز والاختلاف هما فقط فى سبل وآليات العَلْمَنَة والإلحاق؟!..

إن «نيكسون» يصنف تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم فى العالم الإسلامى إلى قوى :

(١) **التقدم**: التى تأخذ بالعلمانية ، والانحياز للغرب ، ونموذجه الحضارى . . ومثالها - بتعبيره - : «**نموذج تركيا فى انحيازها**

(١) المصدر السابق . ص ١٣٩ ، ١٣٨ .
(٢) المصدر السابق . ص ١٤٠ .

نحو الغرب والتحضر.. وسعيها إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر - (الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية»

(ب) والرجعية: «الديكتاتورية ، صاحبة الايديولوجية القومية المتعصبة» . . ونموذجها - عنده - عراق البعث وصدام حسين . .

(جـ) والأصولية الإسلامية:- التى يراها - بذكائه - حركة ثورية - وليست محافظة - ولذلك فهو يعاديها عداء شديدا؟! . . كما يراها حركة «**مستقبلية**» «**تنظر إلى الماضى لتتخذ منه هداية للمستقبل**»؟! . . وعداؤه لها نابع من : رفضها للغرب ، وحقدها الشديد عليه . . ومن سعيها لبعث الحضارة الإسلامية . . وتطبيق الشريعة الإسلامية . . والمناداة بأن الإسلام دين ودولة؟! . .

وبعبارته فإن الأصوليين الإسلاميين هم «**الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضى، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة. وبالرغم من أنهم ينظرون إلى الماضى فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار...**»!..

يصنف «نيكسون» تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم فى عالم الإسلام إلى هذه التيارات الثلاثة . . ثم يدعو إلى تأييد العلمانيين - الذين يسميهم التقدميين - الذين «يسعون إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر - (أى الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية» . . تأييدهم ومساعدتهم فهم - كما يقول - «محتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلا لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين ، وانغلاق الرجعيين . .» . . أى أيديولوجية بديلة عن بعث الحضارة الإسلامية . . واتخاذها هداية للمستقبل . . وتطبيق

الشريعة الإسلامية . . وتطبيق الإسلام باعتباره دينا ودولة - فهذه - فى نظر «نيكسون» - أيديولوجية الأصوليين المتطرفين . . وبديلا ، كذلك ، للأيديولوجية القومية - فتلك - بنظرة - أيديولوجية الديكتاتوريات الرجعية ! . .

و «نيكسون» يرى أن معاونة أمريكا وأوربا - الغرب - للعلمانيين - ضد الإسلاميين والقوميين - «فيه مصلحتهم ومصلحتنا»

وبعد أن يتساءل : أى هذه النماذج سيختار «العالم الإسلامى ، المتقلب ، وغير المستقر!» ؟؟ . . يقول : «**إن الإجابة على هذه الأسئلة ستكون لها ردود فعل خطيرة فى العالم - (؟!) - وسوف تلعب السياستان الأمريكية والغربية مع المسلمين دورا رئيسيا فى تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة**[1] ..» ؟؟!

وهو ، بذلك ، يذكرنا «بإنذار» «جيانى ديميكليس»؟! . . فعلى أمريكا والغرب أن يلعبا الدور الرئيسى فى «تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة» - أى هكذا والله ؟! . . هم الذين يحددون لنا «الخيار» ! ومع ذلك ينسبون لنا هذا «الاختيار» ؟! . . وإذا حدث و «اخترنا» غيره . .

- ففى نظر «جيانى ديميكليس» : «سيصبح العالم مكانا فى منتهى الخطورة» . . وستوجه قوى حلف الأطلنطى إلى «العالم الإسلامى»!! . .
- وفى نظر «ريتشارد نيكسون» : «ستكون لهذا الاختيار ردود فعل خطيرة فى العالم . .» ؟! . .

هذا هو موقف الغرب - الفكرى . . والسياسى . . بل والعسكرى - من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . وهو يتمحور حول : الاستقلال - بكل أبعاده وميادينه - بواسطة الإسلام ؟؟ . . أم

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

التبعية - بكل أبعادها وميادينها - بواسطة العلمانية الغربية؟؟! . .
وعلى الذين لا تزال لديهم شبهة تعجب أو استغراب من أن تكون هذه هى حقيقة الموقف الغربى - فى مجمله . . وتياراته الرئيسية - من الإسلام والنهضة الإسلامية . . أن يتأملوا - مرة ومرات - كلمات مجلة «شئون دولية» عن «**الفكر الغربى المعاصر، الذى يميل إلى جعل الحضارة المسيحية - اليهودية - الغربية هى الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم**» ! . .
وأن يتأملوا ، كذلك ، كلمات الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» ، التى تقول : «**إن أكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل.... وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جدا، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطا أخلاقيا.. ولن يستطيع أى رئيس أمريكى أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل**»[1]؟!
فالمشكلة هى مشكلة الغرب معنا . . والعداء هو عداؤه لنا . . لأنه يرى حضارته الحضارة «الإنسانية . . الوحيدة» فيسلك كل السبل لفرض نموذجها على العالم ، «لاكرسالة حضارية» مجردة ، وإنما كسبيل وآلية من سبل وآليات الإلحاق السياسى والاقتصادي والعسكرى . .
إنه يريد - فى الحضارة - كما فى السياسة والاقتصاد والأمن - تابعين - بل وعملاء - لا أندادا وشركاء! . . أما النظرة الإسلامية ، فإنها تريد العالم «منتدى حضارات» . . تتفاعل ، دونما تبعية وإلحاق . . ودونما عداوة وانغلاق . . وذلك لأن ديننا يعلمنا أن ماعدا الذات الالهية الواحدة قائم على التعددية والتوازن والارتفاق . .

(١) المصدر السابق . ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

- ففى الشرائع تعددية ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(١)
- وفى الألسنة والألوان - أى فى القوميات والأجناس - تعددية ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٢)
- وفى الشعوب والقبائل - حتى داخل الدين الواحد والحضارة الواحدة - تعددية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٣)

فالأصل ، فى النظرة الإسلامية ، هو «التعددية» . . والاعتراف «بالآخرين» . . وما يريده المسلمون هو قبولهم كأصحاب هوية حضارية متميزة . . لا يريدون أن يكونوا «بديلا للآخرين» - فبديلهم الإسلامى هو لنهضتهم الإسلامية - . . ولا يريدون ، أيضا ، لنموذج الآخرين الحضارى أن يكون بديلا لنموذجهم الإسلامى . . . .

تلك هى القضية . . وهذا هو موقف الغرب : الفكرى . . والسياسى من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه . . . .

والآن . . . ماذا عن موقف «الغرب - الدين» - النصرانية الغربية - من الإسلام وأمة الإسلام ؟؟ . .

---

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) الروم : ٢٢ .

(٣) الحجرات : ١٣ .



الغارة الجديدة
للنصرانية الغربية ضد الإسلام

فى الذكرى الثلاثين لإقامة إسرائيل . . تداعى قساوسة كنائس وإرساليات التنصير الغربى ، العاملون على تنصير المسلمين ، إلى مؤتمر أرادوه «تاريخيا» . . يغير وجه التاريخ . . عقدوه فى أمريكا - بمدينة «جلين آيرى» ، بولاية «كولورادو» - فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م . .

- ولقد قدم فى هذا المؤتمر أربعون بحثا ، مثلت هى والمناقشات التى دارت حولها المجلد الذى ضم أعمال هذا المؤتمر . . والذى نشروه - بعد أن حذفوا منه - كما قالوا هم - الأشياء «ذات الحساسية البالغة»! فبلغت صفحاته قرابة الألف صفحة . .
- ولقد تجلى ، فى أبحاث هذا المؤتمر ، ومناقشاته ، وتوصياته ، والمؤسسات التى أقاموها - عَقِبَه - لتنفيذ مخططه - هذا المستوى الجديد ، غير المسبوق ، فى الحرب التنصيرية القديمة المعلنة ضد الإسلام . . ولقد تجلى ذلك فى حديث رئيس المؤتمر «و . ستانلى مونيهام» عن طموحهم لتغيير مجرى التاريخ فى تنصير المسلمين جميعا . . وليس التنصير بين المسلمين ، كما كان المخطط قديما ، . . وفى اقتلاع الإسلام من جذوره ، وطى صفحته من كتاب الوجود ، وليس الانتقاص من كيان الإسلام كما كان الطموح القديم . .

فلقد قال رئيس مؤتمر «كولورادو» :

«يجتمع المؤتمرون فى كثير من المؤتمرات ، فيتبادلون الرأى ، ويعلنون بعض القرارات ، ثم ينفضون ، فتصبح قراراتهم حبرا على ورق! . ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ! . .

ولا ريب أن هذا المؤتمر قد أصبح واحدا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ ! . . فهذه هى المرة الأولى ، خلال جيلين ، يُعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى ، ليناقشوا عملية تنصير المسلمين ! . . »

● ولأن تاريخ التنصير للمسلمين قديم . . ولرغبة قساوسة مؤتمر «كولورادو» تغيير مجرى هذا التاريخ - الذى لم يحقق ما بيتوا من قبل للإسلام وأمته - فلقد بدأ المؤتمرون بتدارس أسباب الإحباط . الذى أصاب جهود المنصرين السابقين - رغم ما أنفقوا من أموال وبذلوا من إمكانات - كانت عليهم حسرة . .! فاستقر إجماعهم على نقد أساليبهم القديمة . . وعلى رسم مخطط جديد . .

وفى نقد واقعهم وتاريخهم قالت وثائق مؤتمرهم :

«لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير، فى مواجهة الإسلام الذى يتغير بسرعة، وبصورة جوهرية!.

لقد كانت استراتيجية التنصير الأوربية - الأمريكية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقلية الاستعمارية.. وإن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين»!

● ولقد وضحت من أعمال مؤتمر «كولورادو» ، أن الذى حرك إرساليات التنصير إلى هذا الطموح غير المسبوق فى العداء للإسلام ، وإعلان الحرب عليه وعلى أمته . . هى الصحوة

الإسلامية المعاصرة ، التى يهدد نجاحها كل مخططات التنصير والهيمنة الغربية على عالم الإسلام . . لقد رأوا فى هذه الصحوة المد الإسلامى الذى يوشك أن يفلت بعالم الإسلام وأمته من قبضة الهيمنة الغربية ، فتنادوا مسرعين لمعاجلة هذه الصحوة قبل أن تنقذ المسلمين وتحررهم من الأغلال ! . .

وبما أن طوق النجاة الذى تعلق به المسلمون فى صحوتهم هو الإسلام . . فلقد اجتمع أمر قساوسة التنصير - فى كولورادو - على ضرورة أن يكون مخططهم الجديد هو «اختراق الإسلام» من داخله - بعد أن فشل مخطط مغالبة الإسلام بمواجهته - ! . .

ولقد قالت وثائق هذا المؤتمر عن هذا المعلم من معالم هذا المخطط :

«**إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تُناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية** . . وإن النظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا . . إنه : حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر ! . .

ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام. ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام، وللتعامل النصرانى مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام، فى صدق ودهاء ؟!..»

- وحتى يتم اختراقهم للإسلام ، «فى صدق ودهاء» - كما قالوا -؟! . . انتقدوا المخطط القديم ، الذى فشل فى «مواجهة» إسلام القرآن والسنة . . ودعوا إلى مخطط الاختراق والتسلل والالتفاف . . بل وإلى وضع المضامين النصرانية فى أوعية المصطلحات القرآنية؟! . . والتنصير من خلال أشكال وأنماط الثقافة الإسلامية ؟! . .

وعن هذا الجانب من المخطط التنصيرى الجديد ، قالت وثائق المؤتمر : «**إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية!.. وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التى تعمل داخل الكيان كله، لتتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعى!..**

وبهذه الطريقة أيضا يمكننا أن نستوعب فى الحظيرة النصرانية: «مسلما - نصرانيا»؟!.. و «لاهوتيا - إسلاميا»؟!.. و «مسجدا - عيسويا»؟!.. و «جماعة صوفية - نصرانية»؟!.. ونمطا من أنماط «الإسلام - النصرانى» المنظمة..»؟!..

● وكما خطط « المؤتمرون – المتآمرون» – فى «كولورادو» – لاختراق الإسلام وثقافته ، لزرع خميرة النصرانية فى أوعية الإسلام ومصطلحاته وأشكال شعائره وأنماط ثقافته . . كذلك خططوا لاختراق عالم الإسلام ، لا بجهود الإرساليات التنصيرية الغربية وحدها - وهى هائلة – وإنما قرروا تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية القائمة فى بلاد الإسلام . . ليس فقط كنائس البروتستانت - ذات الجذور الغربية – بل وأيضا الكنائس «الوطنية» و «القومية» . . ولهذا السبب . . وفى سبيل هذا الاختراق دعوا ممثلين لهذه الكنائس الشرقية ، فشاركوا فى أعمال مؤتمر «كولورادو» ؟! . .

وإعلانا عن هذا التحالف الكنسى فى الحرب النصرانية ضد الإسلام وأمته وعالمه ، قالت أبحاث هذا المؤتمر :

«**لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة فى العالم الإسلامى!..**

إن النصارى البروتستانت ، فى الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا ، منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة فى عملية تنصير المسلمين؟! . .

ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها ، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم . وعلى المواطنين النصارى فى البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معا ، بروح تامة ، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين . .» ؟! . .

- بل إنهم - فى مؤتمر «كولورادو» - لم يكتفوا - لاختراق العالم الإسلامى - بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية - «الوطنية» و «القومية»! - وإنما خططوا لاختراق عالم الإسلام ، وتنصير أمته - أيضا - بواسطة «العمالة المدنية الأجنبية» التى تنتشر فى أرجاء البلاد الإسلامية؟! . .

لقد رأوا أن تعداد هذه العمالة الأجنبية يزيد على تعداد المنصرين الرسميين - (نسبة ١٠٠ إلى ١) - فخططوا لتدريب هذه العمالة ، لتتحول إلى منصرين . . بل ورأوا الميزات التى تتميز بها عن المنصرين الرسميين . . مثل دخولها إلى بلاد إسلامية تمنع دخول المنصرين الرسميين؟! . . وتحركها فى الأوساط الإسلامية بحرية لا تتاح لهؤلاء المنصرين الرسميين ؟! . .

وعن هذه الثغرة من ثغرات هذا الاختراق ، قالت وثائق مؤتمر «كولورادو» : «**إنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت، من أمريكا الشمالية، فى الخارج أكثر من أى وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصرين بأكثر من ١٠٠ إلى ١..**

وإن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضا أن يعملوا من

أجل المسيح، وهذا أمر مهم، وبخاصة فى البلاد التى تمنع حكوماتها التنصير العلنى؟!.. إنهم يستطيعون، ويجب أن يتمموا عمل المنصرين، وذلك بالعمل معا جنبا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامى..»؟!..

- بل لقد خططوا، أيضا، لزرع نصرانيتهم - فى «محاضن» و«مزارع» و «مشاتل» - بين أبناء الإسلام المغتربين فى البلاد الغربية، حيث يفتقدون حماية التقاليد الإسلامية، ويتعرضون لمخاطر الحياة المادية والعلمانية.. خططوا لزرع النصرانية بينهم فى «المهاجر»، تمهيدا لإعادة زرعهم، كمنصرين، فى بلادهم الإسلامية الأصلية.. وذلك التفافا حول صعوبات الزراعة المباشرة للنصرانية فى أرض الإسلام؟!..

وقالت وثائق مؤتمر «كولورادو» عن هذا التخطيط:

«يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب. ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية، ويعيشون نمطا من الحياة مختلفا - فى ظل الثقافة العلمانية - المادية - فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر!..

وإذا كانت «تربة» المسلمين فى بلادهم هى، بالنسبة للتنصير، «أرض صلبة.. وعرة»!.. أفليس بالإمكان إيجاد «مزارع» خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقى والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية فى تربة أوطانهم كمنصرين؟!..»

- وإذا كان كل ذلك عجيبا.. وغريبا.. وشاذا، كمخطط يرسمه «رجال دين» ليعاجلوا به صحوة ويقظة دينية - هى الصحوة الإسلامية - .. فهم لا يخططون لتقديم روحانية دينهم لمن يفتقر إليها.. بل يخططون - بالميكيافيلية - لإجهاض النهضة الروحية الإسلامية؟؟!..

إذا كان ذلك عجيبا وغريبا وشاذا - بالنسبة «لرجال دين» - أى «دين» - فإن الأعجب والأغرب ، وقمة الشذوذ ، وذروة اللاأخلاقية . . هى أن يخطط قساوسة التنصير - فى مؤتمر «كولورادو» . . لاستغلال «الكوارث المادية» لتنصير المسلمين؟! . . بل لقد صرحوا بأنه لاسبيل إلى تنصير المسلمين إلا بواسطة الكوارث التى يختل بها توازن الإنسان ، فيدخل فى نصرانيتهم؟؟ . .

أى والله! . . لقد قالوا هذا . . وعنه جاء فى وثائق مؤتمرهم - بالحرف الواحد - :

«لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس، أفرادا وجماعات، خارج حالة التوازن التى اعتادوها؟!..

وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب. وقد تكون معنوية ، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعى المتدنى !..

وفى غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية؟!.. إن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمرا مهما فى عملية التنصير؟!..

وإن إحدى معجزات عصرنا ، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التى كانت تناهض العمل **التنصيرى، فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى؟!..»**

* * *

تلك بعض من ملامح مخطط مؤتمر «كولورادو» لتنصير كل المسلمين ، واقتلاع الإسلام - بعد اختراقه - من الجذور ، وطى صفحته من كتاب الوجود ؟! . .

وهو المخطط الذى قالوا عنه إنه «سيغير مجرى التاريخ» - تاريخ صراعهم ضد الإسلام وأمته . وعالمه - . .

والذى لأجل بلوغه غايته فى الممارسة والتطبيق ، وحتى لا يتحول إلى مجرد «حبر على ورق» . . أقاموا للإشراف على تنفيذه المؤسسة التنصيرية القيادية ، التى تنهض بوظيفة «المخ» المنسق والمنظم لكل إرساليات وجهود التنصير . . والتى أطلقوا عليها اسم «زويمر» - أشهر المنصرين فى العصر الحديث - ؟! . .

● بقى أن نعرف شيئا عن الإمكانات - المعلنة - لهذه الحرب الكنسية القائمة ضد الإسلام . .

إن لدى هذه الإرساليات التنصيرية:

١٢٠ر٨٨٠	مؤسسة مخصصة لتنصير المسلمين .
٩٩ر٢٠٠	معهدا لتأهيل المنصرين .
٤ر٢٠٨ر٢٥٠	منصرا محترفا .
٨٢ر. . . ر. . .	جهازا للحاسب الآلى (كمبيوتر) .
٢٤ر. . .	مجلة متخصصة فى التنصير - بأسلوب مباشر أو غير مباشر- . .
٨٨ر٦١٠	كتابًا أصدروها حتى الآن للتنصير .
٢ر٣٤٠	محطة للإذاعة المسموعة والمرئية ، مخصصة للتنصير .
٥٣ر. . . ر. . .	نسخة من الإنجيل تم توزيعها فى العالم الإسلامى - حتى سنة ١٩٩١م - . .
١٠ر٦٧٧	مدرسة منتشرة فى العالم الإسلامى . . يتم من خلالها التمهيد للتنصير - . .

٩ر٠٠٠ر٠٠٠	طالب يدرسون بالمدارس التى أقامتها إرساليات التنصير فى عالم الإسلام .
١٠ر٦٠٠	مستشفى أقامتها فى العالم الإسلامى إرساليات التنصير . .
٦٨٠	دار للعجزة والأرامل والأيتام ، تقوم بدورها الممهد للتنصير .
١٠ر٠٥٠	صيدلية .
١٦٣ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	– مليارا من الدولارات – هى ميزانيات الإرساليات التبشيرية .
٩ر٠٠٠ر٠٠٠	دولارا ، هى دخل الكنائس العاملة فى التنصير .
٨ر٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	مليارا – من الدولارات – هو دخل الإرساليات الأجنبية العاملة فى التنصير .
١٥٧ر٠٠٠ر٠٠٠	من الدولارات ، هى دخل الكنيسة فى عام واحد – سنة ١٩٩٠م– . .

● أما المخصص لإفريقيا ، من هذه الإمكانات ، فهو ١٤ر٠٠٠ منصرا ٠٠و ١٦ر٠٠٠ معهدا للتنصير٠٠و ٥٠٠ مدرسة لاهوتية ٠٠و ٦٠٠ مستشفى؟! . .

* * *

وإذا كنا قد اكتفينا – مراعاة للحيز والمقام – بإشارات إلى واحدة من الغارات التى تشنها البروتستانتية الغربية على الإسلام وأمته – غارة التنصير – فإن الكاثوليكية الغربية قد شاركت ، هى الأخرى ، فى هذه الغارات . . والمثال الذى سنكتفى بالإشارة إليه هنا هو خيانتها لقضايا أمتنا ، وخاصة قضيتنا المركزية ، فى فلسطين ،

وذلك بالتحولات التى صنعتها بميدان علاقاتها باليهودية والصهيونية منذ ستينيات القرن العشرين . . فبعد العداء التاريخى بين الكاثوليكية واليهودية ، والذى أثمر تحفظات الفاتيكان والبابوية على الاغتصاب الصهيونى لفلسطين ، تحولت الكاثوليكية إلى موقف التنسيق مع اليهودية ، والقبول بالاغتصاب الصهيونى للأرض العربية الإسلامية . .

فمن إعلان تبرئة اليهود من دم المسيح - وفيها نقض لتراث اللاهوت النصرانى - إلى الشراكة التى أعادت اليهودية ، مع النصرانية ، ليكونا البعد الروحى والقسمة الروحية للحضارة الغربية- وفيها طى لصفحات العداء التاريخى- إلى معاهدة «الاتفاق الأساسى بين الفاتيكان وإسرائيل» - والتى وقعت فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٩٣م ، مجسدة خيانة الكاثوليكية لقضية الإسلام المركزية ، فى فلسطين ، واعترافها - رسميا وعلانية - بالأمر الواقع . . أى باغتصاب الأرض وتهويدها ، بما فى ذلك القدس الشريف؟! . .

- وفى هذه المعاهدة ، التى تجسد خيانة الكاثوليكية الغربية لقضايا الأمة الإسلامية . . تتحدث «الديباجة» عن «**الطابع الفريد للعلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودى**» **وعن «المصالحة التاريخية» بينهما..**
- وفى ظل حملة غربية على الصحوة الإسلامية ، يقرن الغرب فيها بين الإسلام وبين «التعصب الدينى» ، تتحدث المادة الثانية للمعاهدة عن «**أن الفاتيكان ودولة إسرائيل يتعهدان التعاون بالشكل الملائم لمكافحة كل أشكال العداء للسامية والعنصرية والتعصب الدينى**»؟!

- ويبلغ النفاق الكاثوليكى الذروة ، عندما يتخلى الفاتيكان عن واجب مناصرة الحق الفلسطينى السليب ، بدعواه - فى المادة الحادية عشرة - «البقاء بمنأى عن جميع النزاعات الزمنية. ويسرى هذا المبدأ خصوصا على النزاعات فى شأن الأراضي والحدود»؟!.. فى الوقت الذى يعترف - بالمادة الرابعة - «بالوضع القائم» فى فلسطين حيال الأماكن المقدسة، وهو الوضع الذى ضمت فيه إسرائيل القدس إلى «سيادتها»، وأعلنت فيه كل القدس، بما فيها المسجد الأقصى أرضا إسرائيلية إلى أبد الآبدين؟!.. فتنص المادة الرابعة على «تعهد الكنيسة الكاثوليكية الدائم باحترام الوضع القائم»؟!..
- اما المادة الثالثة عشرة - والتى تفسر مضامين المصطلحات الواردة فى المعاهدة - فإنها تمثل دعوة لتعميم هذه الخيانة حتى فى صفوف الكاثوليك العرب وكنائسهم ومدارسهم وثقافتهم، المفترض أنها وطنية وقومية ملتزمة بقضايا أمتهم وأوطانهم.. تدعو هذه المادة إلى إلزام الكاثوليك العرب بهذه الخيانة لقضايا أمتهم، عندما تُعَرِّف مصطلحى «الكنيسة» و «الكنيسة الكاثوليكية»، الواردان فى هذه المعاهدة، والملتزمان بما فيها، فتقول أنهما يتضمنان «الطوائف التابعة لها ومؤسساتها»؟!.. أى أنها تلزم، بحكم السلطة الدينية، الطوائف الكاثوليكية العربية - وفى كل البلاد الإسلامية.. وعلى النطاق العالمى - مع مؤسساتها الدينية والتعليمية والثقافية، بإقامة علاقات ذات «طابع فريد» مع اليهود وإسرائيل.. وبالاعتراف بالوضع القائم فى فلسطين.. وبالتخلى عن استرداد حقوقنا السليبة فى القدس وفلسطين، بحجة أن ذلك من «النزاعات الزمنية.. فى شأن الأرضى والحدود» يجب أن تظل الكاثوليكية

بمنأى عنها؟!.. وبالتعاون مع إسرائيل ضد «التعصب الديني» - الذى جعلوه عنوانا على الصحوة الإسلامية المعاصرة؟!..[1]

تلك إشارة - مجرد إشارة - إلى واحد من إسهامات الكاثوليكية الغربية فى الغارة النصرانية على عالم الإسلام ! . .

* * *

أما الأرثوزكسية الغربية ، فإن غارتها على الإسلام والمسلمين لا تحتاج إلى حديث . . فما قامت وتقوم به فى البلقان يجسد «الحقيقة - العارية» لموقف النصرانية الغربية من الإسلام ، حتى ولو كان إسلام مليونين من البوشناق السلاف فى أرض البوسنة والهرسك . . .

وإذا كان الصليبيون القدامى - عندما احتلوا القدس (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) - قد وصفوا المجازر التى أقاموها لأهلها ، حتى داخل المساجد ، عندما كتبوا إلى البابا - مفاخرين - يقولون : «إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا ، فثق أنه فى معبد سليمان (جامع عمر بن الخطاب) كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دماء الشرقيين»؟! . . فإن الأرثوزكسية الغربية قد صنعت ذلك بالمسلمين ، على مرأى ومسمع من العالم . . ومن المؤسسات «الدولية» ، التى غدت - فى الحقيقة - مؤسسات «المشروع الغربى» ، الذى يناصب الإسلام وأمته وعالمه عداء أكيداً وشديدا؟! . .

* * *

---

(١) انظر النص الكامل لهذه المعاهدة - «الاتفاق الأساسى بين الفاتيكان وإسرائيل» - فى صحيفة (الحياة) - اللندنية - عدد ٣١ يناير سنة ١٩٩٣م ١٨ رجب سنة ١٤١٤هـ .

وإذا كانت مواقف «المشروع الغربى» من الإسلام وأمته وعالمه - وهى التى تعلنها وتمارسها مؤسسات هذا «المشروع» - لا تحتاج إلى تعليق أو استنتاج . . فإن علينا أن ندرك أن «الجسم الإسلامى» لو كان ميتا لما اشتدت ضده الضربات على النحو الذى نراه الآن . . «فالضرب - كما يقولون - فى الميت حرام» ؟! . .

إن تصاعد حدة الغارة الغربية على الإسلام والمسلمين ، شاهد صدق على أن أمتنا تتلمس طريقها إلى يقظة إسلامية معاصرة ، يسابق الغرب الزمن لإجهاضها والإجهاز عليها قبل أن توقظ الأمة التى مثلت العالم الأول على ظهر هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون . .

ولنقرأ - ثانية - كلمات مجلة «شئون دولية» - البريطانية - التى تقول:

«لقد شعر الكثيرون فى الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتى. وبالنسبة لهذا الغرض، فإن الإسلام جاهز فى المتناول!.. فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهى أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، ولذلك فهو، من بين ثقافات الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدى فعلى وحقيقى للمجتمعات الغربية التى يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات ماديا، فضلا عن هلاكها معنويا!...»[1]

وإذا كان «الوعى» بالتاريخ هو السبيل لأن نتسلح بخبرات أعمار الذين عاشوا ذلك التاريخ . . فإن «الوعى» بتحديات الغارة الغربية

(١) عدد يناير سنة ١٩٩٠م .

المعاصرة على الإسلام وأمته وعالمه - والتى أشارت هذه الدراسة إلى مواقف وممارسات قواها ومؤسساتها وتياراتها - هو الخطوة الأولى نحو «الموقف» المناهض لهذه «التحديات» . .

إن الإحياء الحضارى هو سبيل «الفعل الإسلامى . . والفعالية الإسلامية» فى هذا الصراع الذى فُرض علينا . . ولا سبيل إلى هذا «الإحياء» إلا بالإسلام ، الذى مثل حقيقة الحياة والإحياء بالنسبة لأمتنا على امتداد تاريخها الطويل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١) . .

فالاعتصام بالإسلام ، مرجعية لمشروع النهضة والإحياء الاسلامى . . وسبيلا لتجديد دنيا المسلمين بدين الإسلام . . وسياسة الدولة الإسلامية بالدين الإسلامى ، لتقوم هذه الدولة بحراسة هذا الدين ، هى السبيل إلى مواجهة هذه التحديات . .

وإذا كانت سنة الله ، سبحانه وتعالى ، فى التدافع الحضارى . . أن يكون نصره للذين ينصرونه ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) . .

فإن إعمال هذه السنة - التى لا تبديل لها ولا تحويل - هو السبيل لتغيير موازين القوى القائمة الآن فى المواجهة بين أمتنا

---

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) الحج : ٤٠ .

وبين هذه التحديات . . ﴿ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ اللَّه ينصرُ من يشاءُ وهو العزيزُ الرَّحيمُ ﴾ [1] . . ويبوء الظالمون بإثم ما أنفقوا - من جهد ومال - فى سبيل العدوان ﴿ إنَّ الَّذين كفرُوا يُنفقُون أموالهُمْ ليصُدُّوا عن سبيلِ اللَّه فسينفقُونها ثُمَّ تكُونُ عليهِمْ حسرةً ثُمَّ يُغْلبُونَ والَّذين كفرُوا إلىٰ جهنَّم يُحْشرُون ﴾ [2] .

صدق الله العظيم .

(١) الروم : ٤ ، ٥ .

(٢) الأنفال : ٣٦ .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة



طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر

إلى القارئ العزيز . .

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث . .

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشر
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم الع
- ا . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عط
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إم

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين . .

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

